

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190693

UNIVERSAL
LIBRARY

التجارب

وهي مجموعة مقالات اجتماعية

ولي الدين يكن

عني بطبعها فؤاد مغنغب

بمطبعة فرج غرزوزي بالاسكندرية

سنة

١٩١٣

بمقدمة المؤلف بخط يده

كل ما يتعلم المرء منه هو أدب الأيام تجديده . وما يتقى الخبز
منقيها الا وقد استأثر به من غيره من الامم . ولولا نفي
تقييد اللغات وهي غير ما بقي لفاقت هذه اللغات الضميمة
وسات . ومنه ما يعلم من سيا قبل . وفي ان القليل
ذكرى اذا استعادها المرء وجد راحة في استعادها . هذه
الام موهبة وتجاوز منجبة . هذه هذه البرار
المفروض الا الاقضية المفروضة . انه للامنة
نحيا تتألف به وتساها اذا لم تنفع البرم صرعا

وحيات



ما كان اهتاني واسمدي لو كان ينفع معشري قلمي
انا لي فؤاد لا انزهه لكن يراقب ما يقول في
ولي الدين يكن

تجارب

١

استغراق لحظة

بين صدق النهي وكذب الاماني وقف الرأي والهوى ينظران
للهوى جرأة وللرأي حكم والبرايا لذيها شيعتان
يا نفوساً جنى الشباب عليها قضي الامر واستراح الجاني
لست ألك في زمان غرور فلقد مر في الغرور زماني
والخيال الذي صبوت اليه قبل عشرين حجة اصباني
خبر الناس ايها النيل عني واشهدا معه ايها الهرمان
المغاني التي بكيت عليها باقيات - تكلي يا مغان
غازلني عيون زهرك حيناً وقاربك رددت الحاني
واذا انت حال عهدك بعدي فكما شئت مهجتي واساني
يا ربوع الهوى بأية كأس قد سقاني فيك الهوى من سقاني
بلبل مشك وورد مصيخ انظروا كيف يسعد العاشقان

اضحك الدهر معشراً جهلوهُ وانا مذ عرفتهُ ابكاني
كلما قلت للمنى ادناني جد حتى عن المنى اقصاني

ايها الشرق كيف حالك فينا ينجلي نازل فيغشاك ثاب
هدمتك الخطوب صرحاً فصرحاً قوضت من علاك شم المباني
يظلم الناس بعضهم منذ كانوا طال ظلم الانسان للانسان
واذا كان في الحياة قليل من نعيمٍ فذاك للتيجان
والعقول التي نخال انارت استشرت في ظلمة الاديان

انتهيت من صحائفي السود وما صدقت ان سأنتهي . تلك
فصول ادبجت فيها وصف الآمي . وكان طيها خيراً من نشرها
لولا لاجاة نفس شديدة النزوان . ولو كان في نطاق الصبرسعة
لاسترسلت فيها وبلغت بها غايتها . ولكن كان خير مما لو كان .
وهذه فصول تجاريب . اقدم عليها جهلاً بخاطرها . كالموغل
في الاجمة بليل مسترخي السدول . لا يدري ما وراء اثلاثتها
وغاباتها . فان غمرت من مياها وفوزت من قتادها . فتوفيق
غير مؤمل من مثلي . وان ملكتني سورة هولها وأخذت عليّ

مراودها ومسازحها . فما انا اول ضال عن قصده . وفي حسن
 النية مأساة للايس . وتخفيف لللام
 لقد رايت قوماً راعهم ما قرأوه من فصولي . او ائلك فريقان .
 فريق من المسيحيين وفريق من المسلمين . اكبر كلاهما اقوالى
 ولم تنشرح لها صدورهم . فسكت عنها بعضهم ولا مني فيها
 بعضهم . وانا في شغل عن الصامت واللائم . هذا باب
 اجتهاد فتحته لنفسى . ولا يعرف مرادى أحد مني . ومن
 لا يعتمد ما ظهر من رأى فلينأتى بما يحسنى اخبره . أو
 نليدعني وليذهب عني بسلام . وحسبى اليوم ان اقول ما
 قاله الكشم بن صيفى . ان قول الحق لم يدع لي صديقاً
 رأيت كاتباً قال في احد فصوله انه يحنقر من يترك
 الصوم في رمضان ويجهر بذلك . فعلمت انه عرض بي .
 عما الله عنه . لو باليت مثل احنقاره لكننت في موضع
 غير الذي انا فيه . واسوف اوصل جهادى حتى يقال الله
 من امثاله . فان عشت حتى ادرك المرام كان ذلك فضلاً
 من الله وان تحمل المية دون الامانى فكم في هذا الشرق

من حر قلامه ظفره خير من حياة الف ولي الدين
 وبعد فهذا ما استطلعه في استغراق لحظة . افكر في
 الشرق . نجلتني ابوته ونةقتني امومته . واليوم تشقني محبته .
 يا حبذا المهديا حبذا اللحد . توسده المجد وايداً ثم توسده
 ميتاً . بلاد وامم . كلها حبيبة وكأها عزيزة

قلت في نفسي : ما يقعدني عن اصلاح هذا الوطن
 الكبير الذي احبه . فرحت التخيل . جمعتني حاكاً على الشرق
 كل قرية وبعيده سهل وجبله . فشيدت معاهد التأديب
 واقت بنايات العلم ورفعت بيوت الصناعة وضربت للعدل
 رواقه ومددت للامن اطنابه وزينت اسواق التجارة بالفائس
 واستخرجت من بطون الارض كنوزها وخلعت عليها مطارف
 خصبها حتى سال النصار في جداولها وقر اللجين في قيعانها
 وقلت اقبلت عليك السعادة ايها الشرق وراجعك الاقبال
 ووقفت اسائل نفسي : أبقى للشرق شيء يحتاجه ام قضيت
 له حوائجه كلها ؟ واذا انا بمكاني من التصير والتفريط
 واحر قلباه ! ما ينفع كل ذلك وبين احناء الاضالع

وفي سويداوات القلوب نفوس مستعصية عَلَى الخير اذا
 وكرتها اوضعت واذا لاطفتها حرت . فاهلها كالعير لا
 يسرون الا وخلفهم العصا . فمن هؤلاء المعاندون ومنهم
 الادعياء والكافون بالرئاسة كعبيد الله استطال على العرب
 ثم استثار تعصب المتمصبين على قتل المسيحيين ثم وقف
 ينتصر الالمانيين ويحض الناس عَلَى قتال الانكليز . ومثله
 كثير في البلاد العثمانية وفي مصر وفي غيرها من بلاد
 الشرق

وبينا ينادي حماة الانسان وانصار نجدته الى الاخاء .
 اذا صحف جديدة تأتينا وكأها دينية . منها المسلمة ومنها
 المسيحية . جدال استعرت ناره بين المآذن والنواقيس والمشايخ
 والرهبان كل يتصح دينه . وكل دينه في غنية عن النصحيح .
 وما عاقبة هذا . واين يكون مستقره . وقانا الله لفحات
 قِيظه .

قلت : الخطب ايسر . نثفق حكوماتنا عَلَى طرده هؤلاء
 الناس او نكرهم عَلَى السكوت حتى تكشف عنا غلواهم

وتسكن عواصفهم . ثم استطلت تأملي فألفيت المعضلة على
 اصلها ما دللت لها عقدة ولا قاربت لعقدة حلاً . ما حيلتنا
 في هذا البارض النضر الذي اتى به ربيع الحياة . اريد
 فتيان اليوم ورجال الغد . يذهبون الى مدارسهم فيتعلمون
 بها ما ينير بصائرهم ويصفي نفوسهم . وينفق عليهم الذهب
 من خزائن الحكومة وارزاق اهلهم كالمنطق الجود . حتى اذا
 اشربته قلوبهم وماج في صدورهم غلبت على شدته نفثة
 من نفثات معمم او مقلنس يأتهم مسترزقاً ويدانهم مجترماً .
 فرأيت روح عبيد الله تجول في كثير من تلك الاجساد
 الطاهرة . فقلت والسفاه

وعن لي بعد ذلك خاطر جديد : حال بناتنا . نغدوهن
 الصحة ونعلمهن النضرة ونربيهن على حواشي العز ونسيرهن
 في مهرجان النعيم . فاذا بانغن غايبة ما تشتهي الانفس اسلمناهن
 الى بعولات كالازواد جسوماً وكالبعوض احلاماً يرفعون
 بينهن وبين الحياة الطيبة اسواراً . يغارون عليهن من
 شعاع الشمس ويرد النسيم . ولا يغارون عليهن من يد الموت

ولا ضم الجدث

فلما كثرت في صدري هذه الوسوس واطبق عليّ
ظلام اليأس عرّتي هزة كهزة الكهرباء خرجت بي من
استغراقي . فندمت علىّ تخيل حول وطول ما خلقت لها
ولا قبل لي بهما ولا تمنيتهما فيما يتعنى . وصحت واحرباه .
برح الحفاء ووضعت السبيل وأنا لا محالة خاسرون .
ولرب فكر لحظة افادهم الابد . ما اهون هذه القلوب على
خطوب الدهر . وما اضيع ودائع الاماني في ذم الايام .
ولو عي الناس بوصف كل هم وانغل ووجد مستحدث وشجن
مستثار لذات الافئدة وضجت الى بارئها الارواح . غير
ان الجد في السعي والاستمرار على النصح هون الخطب
ويومخر بومه . وما انا من نسمو به همته الى ادعاء ذلك
ولكن للعالم في عصرنا نهضة شغصت لها الابصار وعنت
الوجوه . وكنا على آثار رجاله اسائرون . فنعم مفتاح
باب المعقل الاشب

٢

ان اكثر المجد هزل

التاريخ ديوان العبر ومراة الاخبار . ثم هو شاهد
 الزور وراوي الاكاذيب . هذه دعاوي لا تحتاج اقامة الينات
 وهذا ايماني لا يزعزعي عنه جدل ولا يغلبني عليه شك .
 واذا كان فيما لدينا من اخبار القرون الاولى شي لم يوه
 بالكذب فذاك قليل بل اقل من القليل . ومن البلية ان
 لا نستطيع التمييز بين الصدق والكذب في واحدة من
 تلك الروايات لبعده العهد وامتناع المرجحات

وفين اطراف اهل التاريخ اناس مجدهم من غيرهم : معاوية
 سودد ابن العاص والعباس توجه الحراساني . با الملكان
 بالسودد والعز وفاء الخادمان بمواهب وقعت ثم انتزعت .
 والملكان كلاهما نائران عاصيان صدقهما المجد وجرت على
 مايعيان الحوادث . فنشأت دولتان كبيرتان ملأتا اكثر الصحائف

من كتاب التاريخ

كنت جالساً ذات يوم مع صديق لي من خيرة
الكتاب . فجرى بيننا مثل هذا الحديث . فقال صديقي
احمد الله ان احرق دار الكتب التي كانت بالاسكندرية .
قلت ولما ذلك . قال من يدري كم حوت من الاحاديث
الملفقة والاكاذيب المبتدعة فكانت النار جميعها . وزالت عنا
حماقات لو دامت لنا لاضاعت عنوتنا . قلت : صدقت

ان الازل والابد لجعلان من مجاهل الزمان ما ارتاد
اجدهما فهم من الفهوم الا اضل قصده . ما سيكون مثل
ما كان . ولان تشابهت الوقائع والاحالات فان بينها الاختلافات
جمة لا في على اللبيب . والظنون -- قاتل الله الظنون -- تأوى
الى نفوس الكتابين فتذر عقولهم حيارى وتسير اقلامهم
مفترية وآثمة . والويل لمن طابت سريرته وحسن ايمانه .
فذاك يعيش على ضلال ويموت على ضلال

هات بعض ما كتبه المؤرخون في عبد الحميد
يوم لم يخنه جده ولم ينقلب عرشه . ثم اقرأ ذلك من لا

يعلم صدقه من مينه يقل لك : ان عبد الحميد ملك لم تطلع الشمس على خير منه ويصدق بما قيل من زور وبهتان . ولو فاز العرابي في ثورته ووفت له الايام بلباناته لصرت الاقلام بمدحه وتغنت الافواه بمناقبه وعبد الحميد احد الظالمين والعرابي احد العاصين

يقولون التاريخ . وما هو التاريخ . نكذب . نأثم . وان بين من سودوا صحائفه ونطقوا بكذبه لاناساً اجفل عنهم الحياء . يحكون حكاية الشاهد لا السامع . ومنهم من يتبع روايته قسمه . اصراراً على الزور والامأ لقاريء كتابه . الا شأهت تلك الوجوه . وان فيما حدثنا به المؤرخون مثل قصة الزنبيل التي رواها الموصلي عن زواج المأمون ببوران وما زعمه صاحب العقد من حديث الرشيد مع ام جعفر حين هم بقتل البرامكة وما ادعوه من امر الذلفاء وابن عبد الملك الاموي انظرفاً وادباً ولكنه تضليل لعقول الناس وعار يلزم من نقله من المؤرخين

وبينا نعال الانفس بأن ستهب عنا هذه الخيالات

وتبقى لنا الحقائق إذا بنا نأتي بما لم يسبقنا إليه السلف .
 كأن قد قضي على هذا الخلق ان لا يسمع الا لغواً ولا
 يعلم الا كذباً . وما فضل عصرنا على خاليات العصور اذا
 بات . علم من علومه ظناً من الظنون

توجهت يوماً الى صديقي جورجى افندي زيدان .
 فاقبل علي بانسه وحديثه ثم اتى ذكر صحف الاستانة فأتينا
 على حسن طبعها وجودة ورقها ورقة صورها . فناوتني
 مجلة من مجلات فروق اسمها « رسمى كتاب » واذا فيها صورة
 رجل نو كان جهله علماً لكان الهاً . كتب في اسفلها ان
 صاحب الصورة من مشاهير الكتاب . قلت ياصقع الله هذه
 المحي . وياعوج الله هذه الاشداق . وقلت ان زماننا كزمان
 غيرنا ولكن للماضين عذراً ونحن لا عذر لنا ان شاء الله

ورأيت كتاباً لعثماني هو نزيل مصر الآن . اسم
 الكتاب « ما كابده في سبيل الوطن » وموضوع الكتاب
 من على الامة وذم في جمعية الاتحاد والترقي . وكل هذا
 يجوز ان يغلب عليه الصفح الجميل . ولكن قدح المؤلف

في الماسونية او كاد . فسمح عندي تطفله ورأيت علمه دون
كبره فانزلته منزلة لن يرقى منها درجة ولو ادلت الكواكب
اليه اسبابها

اما أن ان نفيق . سكرة هذه يذهب فيها عمر الابد .
كاد الدهر يموت ونحن كيوم خلق من يدعونه آدم . وبعد
فلا ننتهي عن التماس الجد وادعائه والهلزل ينطق من عيوننا
ويبدو على نواصينا . وما يمنعنا ان نحسن نفوسنا او نقوم
طباعنا الا كلف بما يغير الحكمة

لقد امر بالكتابة من المكتبات فاذا لاحت لناظري
مجلداتها في ذهبها ونقشها اعرضت عنها اعراض السائم وقلت
كم في بطونك من زور وكم تنطقين عن هوى . وسبيل العزاء
ان نقول كذا شاءت الاقدار . وما تشقى الاقدار بل يشقى
انفسهم الناس . هاتوا من ينقض كلامي هذا . نعم نعم ان
اكثر الجد هزل وان التاريخ ديوان العبر والاكاذيب

٣

التعصب يخرج الحرية من ديارها

هلموا الى نجدتها يا احرار

اسيرٌ بدار الظلم اعياءُ آسره
 اما من فتى في الناس حرٌ بناصره
 افي الناس احرار وفيهم احبة
 فما لاخيم لا يرى من يؤازره
 عفاءٌ على الزوراء بعد جميلها
 اذا ربعهُ المعمور اخلق داثره
 ألمّ به خطب من الجور فادح
 كما انقض بازٌ اقم الريش كاسره»

تنادوا به والضعف ملء قلوبهم
وقالوا وحيدٌ ما لنا لا نكاثره
فان نكفه نكف الشديد مراسه
وما بعده فينا عدو نحاذره
فطافوا به من خلفه وامامه
كما طاف بعد المحل بالربع زائره
احين هوے عبد الحميد بعرضه
وغیره بالذم في الناس غابره
يقوم رجالٌ يستعيدون عهده
وفينا نيازي قائمٌ وعساكره
الا قد بغت هذي العائم بغيا
فدارت على القوم الكرام دوائر
الا لا نرجي العدل والعدل دوننا
موارده محمية ومصادره
تجلى زمانا ثم لم تبسم لنا
اوائله حتى استسرت اواخره

باي كتاب ام باية سنة
 يجازى على قول الصواب معاشره
 باي كتاب ام باية سنة
 يريدون طي الحق ان قام ناشره
 سلامٌ على الاوطان من بعد مامل
 ذوى وارق الاقبال منه وثامره
 سلامٌ على الدنيا سلامٌ على الورى
 سلامٌ على العهد الذي قل شاكره
 سنبكي على العيش الذي كان غرنا
 وقد ساء ماضيه وما سرَّ حاضره
 سقى الله اجداتاً عك شهداءوها
 بكل ملك الودق تهبي مواطره
 قضوا تحت اسوار الحصار حمية
 ولم تغن عن عبد الحميد دساكره
 فان بك بالدر ويش قد زل جده
 فهذا عبيد الله حلق طائره

اقام على الاطلال كالبوم ناعباً
يشر بالتخريب ساءت بشائره
فاما قضى فيكم جميل بحسرة
سبق عليكم شهادات مآثره
وان تحجبوا من فضله كل باهر
فليس ضياء الشمس يحجب باهره
اخي وجفاج الارض بيني وبينه
اعيدك من هم تيت تساوره
اعيدك من وجد يضيفك نازلاً
واحوال ليل مظلم انت ساهره
توقف في ظلماته غير منجل
كواكبهم تسطو عليها دياجره
تشوفك البيت الذي كنت بدره
لقد اظلمت حزناً عليك مقاصره
واصبح زاهي الروض بعدك يابساً
وناح على دوحاته لك طاثره

فان تظلموا فيكم جميلاً لغاية
 فان جميلاً ليس يغفل نائره
 وان فريق الظلم ان طال ظلمه
 ستمشي اليه بالسيوف بنادره

ايها العالم الجليل استاذي الدكتور شبلي شمیل

اهبت بنا فاسمعت . قرأت في المقطم ما سطرته اناملك
 الطيبة . وانا طريح الفراش طليح الموم . نخلت السقف
 وقع على راسي ونهضت واقفاً وها انا اسطر هذه السطور
 ولا ادري هل اجد جلدًا الى اتمامها
 كنت قرأت ردود المويد على العلامة الزهاوي
 فاستشعرت وجلاً واحس قلبي بالشر . ثم عاجلتها بكلمة
 عنوانها (المرأة المسلمة بين القاتل والفادي) نشرت على
 صفحات المقطم الاغر . غير ان كلام السوء انفذ سهاماً
 واشد اصابة لمقاتل الرجال من كلام الخير فذهبت صيحتي
 ولم يرجع لها صدى ودوت صيحة المويد واشياعه لتمام

المحنة ولشقوة الامجاد . هكذا دأب الشرق يفلح الغاش ولا
يفلح الناصح

قلت حين نبذوا لنا جيفة الدستور : نوء ازرهوء لاء
القوم القائمين فينا بالامر . ربما اصابوا من حيث لا يشعرون
وكم رمية من غير رام . ثم اوائل الدول تاتي بمخلوقات عجيبة
كصندوق الدنيا فيه عجائبه . وقلت اطمئي ايها القلوب واسكني
يا ثائرات النفوس ووقف اخواني العثمانيون يتفرجون فمارعنا الا
مذابح وقتن وغارات تملوها غارات وصخب وضجيج بين
نواب الامة يتجادبون اطراف الفوائد كل يريد ان يسم
كبشه . فبدت السرائر في اشكالها والقت الافواه بما اخفته
الصدور . فقلنا على الآمال والمستقبل السلام

ولما افتر التعصب عن نواجذه اقمنا نقصد المراثي لننوح
بها على الوطن في جدته . غير اننا حاربناه فغلبنا واستجرنا
بانصار الادمية فلم نجد مجيراً . وما بنا ان نلقى المنية في
جهادنا ولكن من لهذه المخازي بعدنا يسجلها في دفاترها
السود لتبقي عظام خالداً للاعقاب . هذا داء اعضل

قلت الحيلة في استئصاله . وانت طيب لا يزداد مثلك علماً
وترى عبيد الله يسعى في اديم كاديم التماسح . لا تعمل
فيه النبال ولا رصاص المرتيني ومن لنا بماوزر اولويل ولي
متفورد فنجربه في جسده عسى يستشعر الماء او يحدث في
خلقه تغيراً . هيهات هيهات

وكم من مثل عبيد الله . وقوفاً مشمرين يحفرون
للوطن لحده والامة تنظر ولا ترى . هي في حاجة الى الدرس
والدرس فات زمانه وما يجدي الدستور اذا كان الشعب لم
يتهيأ للدستور . جنى جان جناية كلنا مأخوذون بها اليوم
وجرم جره سفهاء قوم

فل بغير جارمه العقاب

اخواننا الذين يظلمهم الدستور العثماني لا قبل لهم بمعارضة
الحكام . وهم معذورون ثم شفار ارهفت وسيوف سلت
تقتطف الرقاب كما تقتطف الثمار . ومن قام مصوتاً بصوت
قامت عليه نوادبه . ونوابنا حمائم الله عيون الحاسدين كجماعة
الاوز تتحاور على مناهل الماء . لكل امريء منهم شأن

بغنيه وفي القتيلين على جسر غلطة عبرة للسائلين
 اما لو يفيد العتب لعصفت به عواصف هذي القلوب
 اما لو يغني النصح لامتلات به بطون الدفاتر . ولكن قال
 ابو الطيب

يراد من القلب نسيانكم

وتأبى الطبايع على الناقل

على انني اري رايًا اخاله يخرجنا من هذا المأزق ولا
 تتسع له هذه السطور و.ا هو مما ينشر بالصحف السيارة .
 فاضرب لي ميعاداً توافيني فيه الى عند الامانة اصحاب
 المقطم هنالك ابسطه لكم وتظرون انتم فيه

وبعد فيا ايها المسلمون . انا مسلم مثلكم . يحزني خسرانكم
 ويتركني معكم مصرعكم . هؤلاء الرجال الذين اثقلت
 هاماتهم العائم اكثرهم لا يعقلون . كان عبد الحميد يقتل
 الناس ويظلمهم وينفيهم وينهب الخزائن وكل هذا حرام
 في دينكم فما قام في وجهه واحد منهم ناصحاً او رادعاً .
 ولكنهم اليوم وقد وسعتهم بلاد الحزبية يكرهون ان يروا

حرأ بتكلم . يهاجمون من لا يكون من فريقهم . يملأون الدنيا
صخباً وضجة . يكفرون الساعل والمأخط والآكل والشارب
حتى لقد زهدونا في الحياة وهم اشد الناس بها تعلقاً . فلا
تجعلوا لهم سلطاناً عليكم فيكسبوا من خسرانكم ويسعدوا
بشقاؤكم وانتم لا تعلمون

ان ينزل بالزهاوي نازل من الظلم فتلك سبيل^٢ ابناؤكم
سالكوها غداً . فإلا يحزنكم مصرعه فان في مصارع ابناؤكم
ما يستدر جامدات العبرات . ايه لكم . قطعت الشعوب
أشواطاً في منازل الحياة ونحن الى الوراء راجعون . لا تكونوا
وامضة السوء بين الاسلاف والاخلاف . اما لتقذفن لكم الارحام
باضاحي كالتي شهدتم تلبسون ايومها السواد ويطول عليها
اينكم تحت طيات الدياجر

استجار المقطم الاغر بالوالي وبالرئيس . لك الله انما
تستجير من الرمضاء بالنار . بحت الاصوات ونقطعت الانفاس
واضطربت الجوانح وعيت اللسن وشت الانامل

وقد اسمعت لو ناديت حياً

ولكن لا حياة لمن تنادي

ألا في سبيل المجد والحق والحرية شهيد جديد . اذا

لم يخنه جده ويرن في الاسماع نعيه فقد جاوز مهالك عظيمة .

وان حم حمامه لا (قدر الله) فاننا له نأثرون او به لاحقون

وليروا ثراك ايها الوطن بدمائنا ان لم تروه انهارك ولتقم

في جوانبك المناحات على انصار الحرية وابناء آدم

شهود .

كتبت هذه الرسالة والتي بعدها على اثر اضطهاد حكومة بغداد

للاستاذ الفاضل والعالم العامل الشيخ جميل الزهاوي وعزله من منصبه .

وزجه في اعماق السجن لكتاباتهِ بشأن المرأة والحجاب



٤

الاحرار واعداؤهم

قال قيس بن زهير

إذا انت اقررت الظلّامة لامرئ
 رماك بأخرى شعبها متفاقم
 فلا تبد للامءاء الا خشونة
 فما لك منهم ان تمكن راحم
 لله ابوه . ما اصدق قوله . وما اعرفه بواضع
 الرأي . ان طوائف المتعصبين الذين اجفلوا من سيف
 الحرية واطهروا الرضاء بالانقلاب العثماني يصدق فيهم هذا
 الكلام . لقد خفضوا لنا اجنحة الذلة وابدوا جانب الاستكانة
 رهبا لا رغبا . والظلم كمين في نفوسهم يخمد الضعف جذوته
 وتلهب الفتوة جمرته . ولو امكنتهم الفرّة لاقتموا اليّنا الاهوال

ولاخذونا من نواصينا وجرونا على بطاح الارض جبر المخطب
 حزم الوقود . كل ما نتحرك به السنتم من قول لين
 يخرج من قلوب استوطنها الجبن وتوجيه عزائم استولى عليها
 الخور . يكذبونا المودة ويمتفرون لنا القبور . يد قد
 بسطت بالضراعة واخرى في قائم الغضب ومقلة مسبله
 بدمع كاذب واخرى نتحري مواضع الاسلاب . هذا هو
 الود الذي مزقه التخالف وتحاول ان ترفعه الحاجة . باءوا
 باثم الغواية كما استقلوا بخزي النفاق

اقام عبد الحميد بصرحه الممرد ثلاثة وثلاثين عاماً . كان
 كلما انحى بشفرته على رقبة علت من جوانب ملكه صيحات
 الصائحين . الله اكبر الله اكبر . وكانت كلما غدت الوالدات
 اطفالهن ناداهم اولئك الابرار : اسمنوا ضحاياكم . وكان الملك
 الاحمر بين اقطاع الضعاف من رعاياه نتساقط حوله الذبائح
 والمنابر تهتز بالادعية والمدائح . قالوا في تمجيده : ظل الله في
 ارضه . وسلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين .
 باني الكون . المتصف بصفات الملائكة . من عنبته بمنزلة

الافلاك . وقالوا في الدعاء له اللهم اطل في العز ايامه
 وحكم سيوفه في رقاب اعدائه . وانصر عساكره وامدده
 بجنود من ملائكتك . ورعاياه المذبوحون يسمعون وهم
 في آخر كل دعاء يقولون بفم رجل واحد آمين اللهم آمين .
 مولين وجوههم شطر القبلة شاخصة ابصارهم مبسوطة اكفهم .
 ونحن نقول : يا هوءلاء نحن مظلومون . فيقولون : انتم
 كاذبون بل انتم معتدون . وما فتئت الامة المسكينة يقص
 زمان عبد الحميد من حواشيا حتى اودى خيارها وبقي
 شرارها وهم اليوم يكفرون الباء الملل ويحاولون ان يستعيدوا
 الكرة

الآكل من كسب غيره وهو قاعد لا يحمل نفسه عناء
 السعي لرزقه . واذا علت الامة حقائق الاشياء وبصرت
 بضلالات اهل التعصب قبضت عنهم جدواها ومنعتهم ورد
 جودها . والقوم يعلمون ذلك ولا يدانيهم فيه ريب فمن
 اية الطرق يأتي نحوهم الانصاف . لو جمعنا العائم التي
 بالبلاد العثمانية وجعلنا بعضها فوق بعض بنينا حصناً يعجز

عن هدمه اسطول انكترا باسره . ما في هذه الجوزات
 ما يرجي منه اقل الفوائد الا آحاد لا يصعب تسميتها .
 وما بقي من ذلك الجمع العديد . فانصار الاستبداد . سواء
 عليهم حق وباطل . لا يعجبهم من الحياة الدنيا الا الجفان
 او ما يكون ثمناً للجفان . اروني واحداً من هؤلاء المبردين
 يكون جاد بدرهم واحد في خير يريدُه — يا بعد ما تمنى به
 النفوس . هذا والقوم كلهم مثقلون بالصفير والبيض يجعلونها في
 اشداهم كما تجعل القردة ما آكلها في اشداهم خيفة خاطف يخطفها .
 ثم اذا التفت عليهم المحافل فينا كل عثنون كحديدة الفاس يضطرب
 غضباً لراي رآه احد العقلاء فكم من عنفة كذب السمكة
 تهتز على اثرها وتغضب لغضبها . ما اشقانا بهذه المخلوقات

يفشوننا ونفشهم . خئل بخئل . كل فريق يود ان
 يحرز الغلبة على مضاده بجيلة يمتالها . ولبئست اسباب الفوز
 في هذه الحرب العوان اتفق المنافقون من ادعياء التقوى ان
 يظهروا حسن النية ويبدوا جانب الود لمخالفهم وذلك بعد
 ان شرت سيوف ابطال الحرية من النفوس وباعت . فلما

افرخ روعهم وثاب اليهم بأسهم السالف اسمعونا صريف
 انيابهم وقلبوا لنا صفحة الود . واضحت تلك الاطاف
 احاديث مقتبقة ذهبت الكمية بلبه . او اهازيح طير استطير
 من عشه فذهبت الريح بصداها

آكل اللحم لا يغذوه النبات . والسماك لا يعيش في
 غير الماء ولو فرشوا له خدود الملائكة وجعلوا مساكنه
 سواد القل . والمعمم لا يطيب له مقعد على متن طائرة ولا
 على ظهر دارجة . ومخادعة الناس بدعة من بدع عبد الحميد .
 وليس من الانصاف ان نبغض الرجل لظلمه حتى نزيله
 عن سلطانه ثم نعاود شائه ونستعيد سيرته

وبعد فقد راي قراء المقطم الاغر عجائب في نهج
 حكومتنا العثمانية . رعاها الله . تاتي بالواحدة من باهرات
 الحكم حتى لتمشى عندها الابصار وتضاهل انوار الفهوم
 وبيننا تلهج الالسن باطرائها وتعقد الخناصر على كل اعجوبة
 من مآثرها اذا بها كمثل الفصل المضحك في آخر رواية
 كلها حكم وكلها عبر . وما نريد ان نحصى تلك الخطيئات

وليس فينا شامت ولا يبننا عدو رقيب . ان لنا في مفاخرها
ومخازيها لنصيباً يصيب كل مستظل براية الهلال . غير
اننا معيرون بهاتيك الخطيئات ملزمون من خصوم غير
غافلين بالزاماتها . لا حكمة نستبين بها المراد مما نرى ولا
في اولي الامر من يتكفون بياناً لما اشكل علينا . وليس
لدينا من يدعي علم الغيب ولا من يستطيع كشفاً لما تخفيه
الصدور

واقعة العلامة الزهاوي ليست فذة في مواليد الشرور
ولكن لها اخوات تخالفها ظواهر وان لم تخالفها حقائق . لقد
وقع مثلها لصديقي العثماني الحر يوسف سامح بك احد الموظفين
في نظارة الحربية المصرية . ولو كان هذا الفاضل ممن
قضى عليه شقاء الجد ان يقيم في بلادنا الدستورية لسمعنا
على بعد الديار انينه في سجنه وصليل السلاسل على
سواده . ويوسف سامح رجل من العثمانيين الاحرار الذين
هاجروا من بلادهم ورأوا في ارض مصر اكناً موطأة
وجوانب مذلة فصدقها الخدمه وصدقته الجزاء . ولما انتشلت

الامة حريتها من كف سالبها وتباشر الناس بهمد جديد
وصفو مقبل راى ان يتحف اخوانه العثمانيين من العنصر
التركي بكتاب جليل الفائدة جامع لاشتات الحكمة وهو
كتاب تحرير المرأة الذي وضعه العالم الحر المرحوم قاسم
بك امين فترجمه الى التركيجه باجمل اسلوب فاصدر مجلس
الوكلاء بالاستانة قراراً ادارياً يمنع به دخوله الى الاقطار
العثمانية . وقد علمنا ان الحكومه توخت هذا الجنف استرضاءً
لفريق المعتصمين . فهذا قلم مذرب تريد الحكومه الحرة
ان تكسر شباته . والدستور رهين الارادة . فيوماً هو
بمنزلة الوحي ويوماً هو مهجور ومنسوخ . قاتل الله الاهواء
لاندرى ما خطب حكامنا . يقودون ام يقادون

الامة قاصرة وقيمهها الحكومة واذا اطاع القيم اهواء القاصر
تعطلت احكام الحكمة . وما أرخي العنان لقوم حديثي عهد
بالعتق الا اشتد جماهم وتعذر كبحهم . وكما ضمنت الحكومة
تعليم الامة فرض عليها ان تضمن تربيتها . ان لاهل الصلف
المتزهدين والمتورعين من الخطل ما لا يستطيع معه احكام

امر . وحسب هو، لاء ان تدر عليهم هبات المحسنين وان
يأتيهم رزقهم رغداً . ان يقنعوا فذلك الكفاف وان بطعموا
فيما وراء ذلك فنصح نافع او زجر رادع او لجام مصرف في
يد تعودت حبس الاعنة واقتياد الصعاب

الاديان مناهج للناس الى ما يستطيع من الكمال . فاذا
هي تجاوزت ذلك واضحت سلماً يتجرون بها كان شرها
اكثر من خيرها وان من اشد ما ينزل بالحر ان يبلى بقوم
لا تسمو مداركهم الى مقاصده فيتمسفوا في تأويلها الشبهات
حتى اذا اعييتهم المناظرة واعوزتهم الحجج عمدوا الى الفساد
فاستثاروا العامة الى الوقعة وفزعوا الى الختل والغدر واكبر
من هذا ان تكون الحكومة عوناً للفسد على المصلح لا
اعتقاداً بايمانه ولا اعجاباً برأيه بل تحبباً اليه واقراراً بالعجز
عن اخضاعه وتقويمه .

لقد ذهلت حكومتنا الدستورية عن الدستور في قضية
الزهاوي وفي كتاب المرأة الذي ترجمه يوسف سائح بك
ثم فعلت مثل ذلك بكتاب كان ترجمه صدقي العثماني

الحرالدكتور عبد الله بك جودت . كفانا الله شر الآتية
من المفوات . فهي ولا شك اشد وانكى

قيل لرجل : لم لا تصلي . فقال ان الله توعد المصلين
في قرآنه الكريم اذ قال : ويل للمصلين . قالوا له ولكن
بقية الآية تنفي زعمك وهي قوله تعالى : الذين هم عن
صلاتهم ساهون . قال انما ذكرت ما احتاج اليه وتركت
ما لا حاجة لي به . ولاحد الشعراء الاقدمين بيت في
مثل هذا المعنى وهو قوله

ما قال ربك ويل للآلى سكروا

بل قال ربك ويل للمصلينا

فهل تريد حكومتنا ان تجري في اتباع احكام
الدستور على هذا المنهاج . تحفظ بما لها وتسهب عما عليها . ان
هذا الاضلال مبين

عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان من الصحابة .
توجه ذات يوم الى صديق له فياه بقوله : عم صباحاً .
فقال الرجل لعمرو : او لم يبدلنا الاسلام عن هذا بما هو

خير منه وهو السلام عليك . قال عمرو دعنا مما لا نعرف
 هل لك في جدي مشوي وخمر معتقة . قال الرجل اشرب
 الخمر وقد حرمها الله علينا في كتابه . قال عمرو والله اني
 سمعت ما بين دفتي المصحف فما وجدت لها تحريماً . غير انه
 قال : فهل انتم منتهون . فقلنا لا

لقد مضى على الهجرة ثلاثمائة والفا عام فاروني اليوم
 رجلاً يقول مثل ما قاله ذلك الصحابي ويبيت في مأمن
 من خطب يجل بساحته . اما اننا ليصدق فينا المثل
 الفرناوي : اشد تمسكاً بالملك من الملك

لكل ذي فكر رأي يراه . فان كان صواباً فالفوز
 له وان كان خطأً فلا جناح عليه والمدارك درجات بعضها
 فوق بعض . ودركات بعضها دون بعض . وان امامنا لدستوراً
 يشمل حكمه رقاب الانقياء وغير الانقياء . حسبنا ذلك هدياً
 وحسبنا شرعاً . البار اخونا والفاجر اخونا ورحمة الله وسعت
 كل شيء

نبئت ان رجلاً من اهل الفضل جمعهم^١ محفل ادب

ليلة نشر استفتاء العلامة الدكتور شبلي شميل . فاخذ كل
 يظهر ما عنده . فقال قائل : ان الزهاوي رجل متبذل في
 دنياه وقد كتب ما يعترض اصل الدين وارى ان نواخذ
 الحكومة العثمانية من غير هذه الوجهة . قلت هذا ينطق
 لسان حاله بقول ابن الصمت

وهل انا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

تفتأ هذه الحشرات تأكل قلوبنا وتستطير آمالنا وتوهي
 عزائمنا لولا ذمة توجب مواصلة الجهاد ونخوة تأبى اقرار
 الظلامه . فان يجرم اخواننا الذين هم في اوطاننا من ثمار ما
 تجود به كبيرات العقول فان تلك الكتب باقية خالدة . لا
 تمحى كلماتها ولا تجفل معانيها ومن صبر ثلاثة وثلاثين عاماً
 يصبر عشرة اخرى حتى يأتي الفرج وانه لات وانوف
 المتعصبين راغمة . فاطماني ايها النفوس اطماني





بعد الموت

اما آن ان يسترجع الدهر ما مضى
 فترجم آمال وثقوى عزائم
 لقد كدت انهي النفس عما تريد
 من النصح لولا ما تجر العائم
 وما زالت الايام حرباً على النهي
 فان سالمت حيناً فختلاً تسالم
 ارى الناس هاموا بالمعالي صبابة
 ولا عجب اني كذلك هائم
 وهذيه طباع لا يرجي انتزاعها
 تناط بقوم اذ تناط التمام
 متبقي بلاد الله تطلب منصفاً
 وهيات ان ترضى بذاك الصوارم

بعد الليالي الطوال والسهاد المستديم والسقام المبرح
 وحوادث تلاحقت بها حوادث يرجع طريد النوائب . على
 ظهره كفنه الممزق وفي يمينه قلبه غير المجهود ليستعيد في
 التجارب نوحاته . خلتني جلدأ وما انا بجلد . اهون بن
 بدا غيران مشتداً ثم امسى وانيا جزعاً . ابن الشرق كاخوته
 وما المشابه قومه بظالم

كم نداء من ذي ود اخترق الجنادل ونفذ من حجب
 الحياة . اهـاب بي اهل النجدة فاسمعوا . واثن تخاذلت عني
 جنود الصروف . وعافنتني افواه الاجداث . فان ذلك لتمام
 الشقوة . لبيكم دعائي . اليوم اعاود ماضي شأني وانتم سامعون

* * * *

كنت قبل ان يلم بي الضى جمعت اشياء اريد ان
 افيض في نقدها . رأيت ذاك الذي وسم الموء يدبميسم من التعصب
 ينادي بارفع صوته (نحن مسلمون قبل كل شيء) فنويت
 ان اعد الجواب

ثم عادت نعمة الترك والعرب والخلافة العربية والاعلام

المزركشة وقامت بالامتنان صحف الشباب تززع اركان
الكون بصيحاتها . والعلم مرفوع بايدي صبية يسخرون من
الراضي والساخط . فهيمت ان ادعو الى الرشاد

ثم دوت في اذني استغاثات اولئك المظلومين الذين
فصل ظلامتهم مندوب المقطم الفاضل في احدى رسائله
فتجددت ثورة الشباب في نفس ذهبت بنجدتها وقائع
الدهر . اطيرت الاظافر واسيلت الدماء وتواتت السياط
على ابدان ترقرق على اديمها الشباب فقلت

افلا يزال السوط حاكمكم وابو السياط ييلدز ذهبا
افلا يزال الدهر يعجبكم ضرب ومضروب ومن ضربا
ونقول احرار فمذحككم لا حر فيكم . كلنا كذبا

ثم اتيت بهذه النفثة الى احد اساتذتنا الدكتور فارس
نمر : فقال لي : يا ولي الدين دع العجلة واستصاف الاناة . اذا
آخذت فأخذ ولكن بعد ثقة وان اثنيت بخير فائن ولكن
بعد ثقة . وهذا المقطم لا يتقرب الى احد ولا يلق احداً
ولكنه عثمانى مخلص في عثمانيته . غير هيب ولا وجل .

تمهل تمهل . اذا دعت الحاجة الى هذا الغضب فحن ولا
نزاع سابقون ولكن لا تستعجل الان بالضجر . فكان كلام
الاستاذ . بمنزلة الدواء على الفؤاد المريض . به استقر الجأش
وعادت السكينة

ولم تنزل الكتب والرسائل تنوالى عليّ من اخوان
الحرية وفرسان الحق . تلك دعوات لم يطاوعني تلقاءها
احجام ولا تتاقلت بي خطوات . وكان الحمام ممسكاً بخناقى
يريد ان يطوف بي معاهد طافها الاباء والاجداد . الا سقى
الله تلك المعاهد من عهاده . غير ان للنفوس اعتلاقاً بهذه
الزخارف الباطلة . مال وبنون . ونحن نشقى بالمال
والبنين

* * *

ثم بدت ميمية الشاعر حافظ افندي ابراهيم . هذه
ثانية قصائده التي انشدها احنفاً بجمعية رعاية الاطفال
حبذا الشعر ثقف عنده البدائه حيارى . « قفانك » واخواتها
اودعت من القول في صوغ الكلام وتأليفه ما لا يسمو

اليه حافظ . وسمية حافظ اودعت من المعاني العصرية ما
لم يلهم به كل شاعر من ملوك الكلام في ماضيات
الايام .

سبحان من قلده مفاتيح البلاغة ومكنه من نواصي
المعجزات .

لولا مخافة التهمة بالحسد لنافست حافظاً في هذه
البدائع وهيئات ان ينافس فيها

ليت حافظاً كان رضي من نعمة القلم بكانه من البلاغة
والفصاحة وترك ما دون ذلك لغيره من عشاق الشهرة . اذن
يظل كالهندواني العضب لم يغش صفحته الصداء ولم تغلب
على حقه صورة الباطل . وليته ترفع عن مدائح الناس وضم
بمجد لسانه ان يذال اذا يظل كاولئك الذين في الغرب
خفضت لهم الرؤوس ودانت الرقاب وتضائل عند مجدهم
مجد المتوجين من العباد .

الناس في حاجة الى الصفاء والوداد وكلاهما في حاجة
الى ان يترنم به الشاعر ذو القافية المظفرة كحافظ وغيره .

ولو وقف حافظ عن يميني « وغيره » عن شمالي ونازلنا
جنود الثعصب لشردناها عن ديارها ولاخذنا اعلامها ورجعنا
باسلابها .

يا حافظ . يا حافظ . ما الى المزيد من الشهرة سبيل
ولا افضل لك مكابر . ولكنك تجعل نفسك في غير موضعها .
دع السياسة ان لم تكن فيها رشيداً ودع المدائح ان في
اسلافك من اعجزك واعجزني . ادع الى الاخاء يحفظ لك
النيل ذلك ويشهد لك به الهرمان ولا تنكر لغرض خيراً
اتي . كذا ينبغي ان يكون كبار الرجال .

التجارب مفاتيح الامور . والمريض لا يستطيع ان
يكتب اكثر من هذا وعفو القارئین اعظام من عجز
العاجزين

٦

نعم الجلود ولكن بئس من تركوا

يقول اناس ان كتاب التاريخ يحصي الحسنات ويحصي السيئات . كذبوا . ما يحصي الا بمقدار ثم ينسى الطيب وينسى الخبيث الى ان تهيج الشجون لساناً ناطقاً ويراعاً ماضياً فيذكر اولي الالباب . يا عقول ويا قلوب . لشد ما تغلب عندك الاضداد من الحق والباطل فتعاورك الشبهات ويصعب عليك القول الفصل . والدرهم والدينار لعن الله الدرهم والدينار . يطلبان مكان الحرص او منافذ الاهواء . الشرق مقتول باسياف بنيه . مجده مجده . نهب مقسم بين عداته . وورثة معاليه . وخزنة مفاخره . بين سكرات الصبا وبين آلام الحسرات . الا الى الله المشتكى . قلوب امانها

الدهر فلا يبعثها منادٍ مسمعٌ ولا مستغيثٌ مسترحمٌ ولا
 داعٍ الى مكرمةٍ ولا مرشد الى محمدة . ما خطبك
 يا أيتها النفوس . ماذا دهاك يا غرائز وما بك
 يا طباع .

ان منا من كان شغلهُ حماماً يستطيرهُ على سطح بيته
 او ديكَةً يرببها ليضارب عليها ويراهن حتى مح الله آيات
 تلك المشاغل ووقع من دعاواه في حرج نخرجت آلاف
 الدنانير من كفه ربحاً حلالاً لكل طامع وكاسب . وان
 منا من يذهب الى منت كولو فيخسر في المقامرة خمسة
 وعشرين الف جنيه لا يبالي فقدها ولا يجد لها وجداً ثم
 يحاسب سائقه على قليل من طعام . وان منا من يقيم له
 حكومة في داره مع كاتبه وخادمه ويقضي حياته بعزل
 عن واجب الرجل الحر . كل هؤلاء لا يفرحهم الا اللهو
 ولا يحزنهم الا موت ذيك او حمامة او ضياع صيد يفلت
 من ايديهم
 وابراهيم الذي هجر راحته وباع حياته في خدمة وطنه

واقام بين اغوار اليمين وانجادهما يشتم روائح الشيخ والقيصوم
لا تبقى له باقية ذكر ولا يسطر له في تاريخ الناس سطر .
نحب التراث ولا نحب مستخلفه . كذا يكون الانصاف

على انني سأستوفي الكلام في فصول آتية فليمنتظره
القراء في مشارق الارض ومغارها . دعاني الى هذا الكلام
ما يقع باليمن : ان بها لداء عظاماً اعى الاطباء دواؤه .
وانها لكما قال الثقيفي في غابرات العصور « ارى روءوساً
حان اقتطافها وارى الدماء تموج بين الغلاصم واللحي » .
واحر قلباه على تلك الروءوس وتلك الدماء الغالية وان
لاهل اليمن عندي لوداً مكيناً تورثه من أب بعد أب . يعرف
ذلك من يعرف ابراهيم . الذي ولي امورهم حيناً من الدهر .
وما كاتب هذه السطور الا حفيده وأحد الذين ورثوا
حبه لليمانيين

واقدمت على اوراق هي محفوظة عند احد ابناء
الاسرة اليكنية . عليها ختم محمد علي الكبير وهي مقيدة
بارقامها بالدفترخانة الحديوية . عرفت بها كيف ساس اليمن

ذلك الفاتح واي طريق سلك حتى راض شامسها وكبح
جامعها . وكانت هذه الاوراق الى اليوم تحت حجب النسيان .
ولولا انتباه صاحبها الى ما حوت لذهبت باماناتها . ولم يلتفت
اليها احد ملوك الديكة وسواس منت كارلو

ادع الآن ذلك جانبا وانادي حكومتنا العثمانية بمشهد
من ابنائها : على رسلك . احبسي اليوم جنودك واستبقي دماء
ابنائك . ان الحكمة تبلغ ما لا تبلغ القوة . وانا اقف اليوم
على تلك التهائم واخطب لك ابناك العاصين فان افلح
فرمية من غير رام وان تبلغ الشقوة حدها ففقد مثلي اخف
من فقد احقر من في اولئك الجنود

نعم عندي لليمايين كلام يسمونه في حينه . فلئن
ذهبت اليهم لاذهن اعزل غير مستصحب احداً ولا نازلن
قرومهم بالحجة ولا خاطبهم بلسان عربي يهز المعاطف من
نسل الاقيال وابناء الملوك الحميرية

ما أنا برجل الدهاء ولا من حجاج الرأي ولكن لدي
تديراً أحكمته وأمرأ استجمعته . ولن اسير الا مستوثقاً

بعهود لا تخان . ان لا يخيبوا المتظلم املاً وان لا يؤخروا
اصلاحاً يراد وان لا يولوا تلك البلاد من لا يعرف لغتها
ولا يدري أهواء أهلها ولا يقدر على ان يستصفي موداتهم
ويسترضي قلوبهم فلا تفعل الحكومة ما تطالب به من
العدل والانصاف فلا نصير لها الا السيف والسيف يجز
الرقاب ويخلي الربوع ويقري الوحوش والنسور اجساد
الناس ويرفع استغاثات الارامل واليتامى الى ملك الملوك .
الى من لا تخفى عليه خافية

فانسأني الحكومة عما اريد ان أعمله اجبها بما يزيل
الشكوك ولا يدع لريبة مسنقراً . ما في الوقت من سعة
ولا في الاهمال من خير . هذا رأي رايته وعقول الناس
تستولد الآراء . ثم هو احدى التجاريب والتجاريب امهات
الحقائق والله بيده عواقب الامور

٧

كيف يموت الأدباء في الشرق

بلغ من بغضي للشعر ان صرت اعرض عن سوانح
معانيه في لوامع قوافيه . القاعد بالحدود عن منازل الشرف
المتواكل بالعزمات عن بلوغ نهايات الارب . احدى فتن
الخيال . تجري بها البدائه فتتلقاها مسامع بالتبول وتلقاها
مسامع بالملل . ابعده به وبطلابه

يتهادى امراء الذهب بين (شولر) وبين (سبلنددبار)
تساقط اعطافهم الجنهيات ويطوفون حول معاهد الصبوة
في عواصم الغرب من (منت كارلو) الى منت كارلو . ثم
يأوون الى بيوت كثر فيها الديكة والحماثم ثم يصبحون
في لزياباتهم يهبون المال في دعاوي ومخاصمات . فطلاق

وزواج وميراث وشركة يتخلل ذلك كله لعب الورق واستشارة
الوكيل وادلال الكاتب وما ادراك ما الكاتب وبيع الاطيان
واقتراض المال . بدرات تفيض العسجد وتنفجر عن ذوب
اللجين والشاعر يريد ان يبيع ديوانه بقرص من الطعمية
فلا يجد مشترياً والكاتب يعرض دفاتره مجاناً فلا يرى قارئاً
فسبحان الله

علم من اعلام العراق . هو 'بر القصائد المحبرة والقوافي
المحكمة . نزيل بمصر مقيم في دار حزنه يمالج ايامه وبعلمي
شدائدها وليس بمصر من يقول له اين اصبحت ايها الاديب
العظيم . احمد مفتاح رجل البلاغة يموت ويدفن ولم
تكتب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت .
ومحمد امام العبد وهو شاعر مجيد يوسد بالامس
التراب ولا يتقدم احد ليقم له ليالي ماتمه . وفي بلاد
الغرب يصنعون التماثيل للشعراء ويسمون باسمائهم
الشوارع والدوارع ويجعلون لميلادهم ولوتهم اياماً
في كل سنة هي بمنزلة ايام الاعياد . ويقولون بمصر الدستور

والجلاء والمؤتمر . وتكتب الجرائد ليحي وليسقط . من يحي
ومن يسقط ايها المساكين ؟

لكل امرئ في هذه الامة موضع يميزه . والناس في
درجاتهم متقاربون . وليس رجل ينكره معارفه ويتجافاه
اقرب اقاربه الا الاديب . فهو اذا برز على اقرانه حسدوه
وان اقصر عنهم حقروه وان ولى جمعاً جالت فيه ابصار
المستهزئين . والله في خلقه اناس يفخرون بلا بسهم وليست
بصنع ايديهم ولا انسجتها من نسجهم ولا اثانها من كسبهم
ولا زينتها تحمل ما قبح من اشكالهم . اولئك يطاؤون الهامات
ويذلون الرقاب ويتهادون في كل مزدحم تهادي الكواعب
الرود في الوشي والبرود . طواويس الرجال يقضون طوال
الاعوام في ديوان الحياة ثم يخرجون منه كما تخرج الانعام
من تحت السقائف . لا متزودين ولا مستخفين . الى حيث
القت رحلها

اعرف اناساً كانوا وضعوا للديكة اسماء مثل عنزة
وعبد هياف وابي زيد وهم لا يعرفون من اسماء ملوك

أوروبا خمسة - واعرف غيرهم كانوا يتعلمون من انواع الحمام
كالهزاز والعنبري والغزاري ما لو علموا بتدره من المفردات
لفاقوا علماء اللغة . وفيهم من اذا نظر توقيعه ظنه توقيع غيره
هو لاء تمر بهم الخلائق كما تمر بهم صور السينما توغراف .
فهم يرددن ولكن لا يدركون . نغارهم ابهة ولائمهم . وان
يقال فلان انفق على وليته كذا من الجنهات . وحلام
ثيابهم بها يتنافسون اذا جمعتهم الجامع . يقول قائلهم انا
فصلت ملابسي هذه عند «كولاكوت» فيساجله الاخر قائلاً
وانا فصلت ثيابي هذه عند «ريبو» . اسمعي يا ام الشرق
واعجبي يا ام الغرب وميدي يا رواسي الارض واعلامها
وغيفضي يا بحارها ويا انهارها . عندي كثير من هذه الاحاديث
وما سيأتي اجب للعبرات وابق للحسرات . منك الصبر
ومني الشكاة

ننظر الى الكتاب المطبوع باحدى اللغات الاجنبية
فترى مكتوباً على جلده الطبعة العشرون والطبعة الخمسون
واكثر من ذلك . وقد يكون عدد نسخ الكتاب في الطبعة

الواحدة عشرة آلاف على الأقل وليس في الشرق كتاب
 طبع مرتين الا نادراً او ما كان منضمناً للجبون . وجرأئدنا
 ياكل مشتركوها اثمان اشتراكهم فيها ويكتفي قراءها بنسخ
 ياخذونها من المشتركين او يقرأونها في القهوات . وقد يبالغ
 في الغرابة بعضهم فيرد الجريدة مكتوب عليها (مرفوضة)
 بعد ان يكون قرأها اشهرًا واياماً . واغرب منهم من جاءته
 جريدة (الجامعة العثمانية) وهي جريدة تنشرها (الجامعة
 العثمانية) في بيروت وتعطيها من دون ثمن ويكتب على
 غلافها مجاناً فرد الرجل الجريدة بعد ان كتب على
 غلافها بالعربية والفرنساوية مرفوضة . رفض الفضل ورفض
 الكرامة . لا طال ذنب زمانه . ولم يخجله كرم الذين احسنوا
 بها عليه احساناً لم يقع على مسنحة . ومثل هؤلاء المخلوقات
 كثير بيننا ولا نخر

يموت ادباؤنا وتطفأ انوار المعاني في عقولهم وتبقى
 بيوتهم خالية واجدادهم دائرة وليس فينا من تحدته نفسه
 بأن ينقب عن اثارهم وينشر للامة ما طوي من معارفهم

قراراً بفضلهم وتخليداً لذكرهم واستفادة من آثار قرائحهم
ونحاول بعد ذلك ان نجاري الامم او ان نشبه عباد الله .
ما اكبر جهلنا باقدارنا وما ابعدنا عن مواضع الانصاف

لا اديب العراق اجده فرائده . ولا الاستاذ مفتاح
هنأته بلاغته ولا امام العبد اغناه شعره . وان نسخة من
قصة القاضي والحرامي او قصة دليمة المحتالة او قصة هف
طلع النهار لاحب الى عامتنا واشهى الى خاصتنا من درر
هو لاء العظماء وجواهرهم وادعى للشجون ثم ابث للطرب
من قصائدهم وفصولهم . سقاهم الله . رعاهم الله . عاشوا
مظلومين وماتوا مظلومين . واودعت بطون المقابر كنوزاً
يتباهى بامثالها ملوك الارض . يروى ان بعض الانكبايز
يقول لو خيرنا بين ان نخسر الهند كلها او نخسر شكسبير
لاخترنا خسارتنا للهند ولابقينا شاعرنا عوضاً عنها ونحن
ماذا نقول ! نقول لتحجي الديكة والحمام . ام نصيح ليحيي
الدستور

انا لنطمع اليوم في ان ننال ما لا يتاح لنا الا بعد

خمسين عامًا فثما مثل جماعة من العميان قيل انهم ركبوا
احد المعابر (القوارب) ليعبروا النيل . فقال قائلهم : هل
لكم في الخروج من المركب من غير ان تدفعوا اجراً .
قالوا بلى . قال : اذن فاسمعوا لما اقول . اذا قارب المعبر
الشاطيء صاح النوتي . « فلق » . فثبوا هنالك وثبة رجل
واحد وتفرقوا هرباً واعلموا انه لا يترك معبره ويعدو
وراءكم . فقبلوا المشورة . وكان النوتي يسمع الموءامرة وهم
لا يشعرون . فلما توسط النهر صاح . « فلق » . فوثب العميان
فوقعوا في البحر وغرقوا . واني لاخشى ان ينادينا الغرور
نداء النوتي فنغرق غرق العميان .

الامة في حاجة الى نوابغها ونوابغها غرباء بينها والصوت
الارث والقول المسموع ما يهتف به قوم صمتت الالبهم
ونظقت ألسنتهم . هم المسيطرون وهم الزعماء .

حسب الاديب في الشرق نعوتاً يكال له كيل الحشف .
فهو الاديب الفاضل والشاعر البليغ والكاتب البارع واللوزعي

والالهي وغير ذلك . وليت هذه النعوت تجبي ان تصدق فيه .
 او فيمن تكاد تصدق فيه . ولكنه مشارك في امشاركة الغبن . أهل
 البلدة كلهم ادباء فضلاء . بلغاء فصحاء ما سلم من ذلك ملك
 ولا سوقة . واظن هذه هي المساواة التي يطلبها مجانين
 الدستور لا المساواة في الحقوق التي يثني عليها اهل
 الاصاف .

ألا من مبلغ عني كل اديب في الشرق انه اديب
 وانه فاضل وانه لودعي وانه المعني وانه فصيح وانه بليغ
 وانه عند الناس وجوده مثل عدمه . وانه أهون على
 امراء الذهب من ديك من ديك الهند او من حمامة من
 حمام الين

كنت ذات يوم راجعاً من دار البريد وفي يدي
 صيكرة هي أخرى اخواتها فمر بجاني رجل يسرع في
 مشيته فاستطارها من يدي حتى وقعت على الارض وكان
 اليوم شديد الهاجرة لافح الحر . فلما توسطت الشارع رأيت
 عربة نظيفة فيها رجل من رعاع القوم وامامه اثنان من

الاوز . ثلاث رفة في خير عربة يقودها جوادان مطهان .
 فرفعت طرفي الى السماء وقلت : يا رب تلهمني الشعر .
 وتجري يراعي بما يستطيع من النثر وتجعل عبادك يدعوني
 بالاديب ان صدقاً وان كذباً . ثم ارى اني احقر من الاوز
 في هذا الشرق !! ثم انصرفت صابراً .
 هذا ميدان واسع . يتعب الجائل في ارجائه . ولولا
 حقوق للأدب واهله ما مطرتها . ثلاثة اخوان . مكروب
 ودفينان . اما الرثاء فبعض ما يجب وان يفوني ما استطعت
 منه . واما النحيب فاني سوف اتحب . فمن لي بن يساجلني
 . الدمع ويشاركني في الشكاية . اما انا لمظلومون .



٨

ويل للناس من الناس

يريد الناس في الدنيا هناءً
ويأبى ان يجود به الزمان
حياة حاربتهم منذ كانت
وحظ حاربوه منذ كانوا
وآمالٌ تغرهمُ عجاف
واحداثٌ تكذبها سمان
وكم من مستنيل ليس يعطى
وكم من مستعين لا يعان
تكاثرت الموموم فلا يراع
يوفيها الشكاة ولا لسان

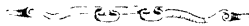
اماناً ايها الخصم المعادي
 اذا دان العدى وجب الامان
 اِنْ رغبوا اليك رغبت عنهم
 لقد هانت رغائبهم وهانوا
 يمي الناس بعضهم بخير
 الا كذبوا على بعض ومانوا
 فما للخير في الدنيا اوان
 ولا للخير في الاخرى اوان
 ولكن الشباب له جماح
 ليالي ثم يعقبه الحران
 يشد عنانه راءيه جميع
 الى امد فيسترخي العنان

وداع جاء يدعوني لنصح
 وقد هت النهى ووهى البنان

تعبت من الكلام فليس يجدي
 كما أملت نظم او بيان
 وكانت صبوةً ونزعت عنها
 فها انا لا ادين ولا أدان
 وما اسفي على عهد تقضى
 ولكن صنت عهداً لا يمان
 ظللت امينه دهرأً طويلاً
 وكنت اظن اني لا أخان

ودار لا يزول القتل عنها
 كأن الحرب فيها مهرجان
 اهاب بها اليراع فلم تجبه
 وناداهما فجاءت السنان
 تظل بها السواعد عاملات
 يصرفها ضرابٌ او طعان

بكت عيني الشباب وحين جفت
مدامعها غدا يبكي الجبان
لعمرك ما لذي نصحٍ . مكان
ولا للنصح في الدنيا مكان
فدعني ان آمالي استكفت
فلي شأنٌ وللامال شأنٌ



احدى عواصف الضمير

اجل اننا خاطئون . صدق لسان الحال وشهدت التجارب
 من ذا الذي يرى عدوه يغدو ويروح امام داره . ينتزعه
 الرصاصة بعد الرصاصة ويعلم انه لا محالة داهمه يوماً اذا
 ضاقت به الحيل واعياه طول الاضطبار . ثم يدع باباً مفتوحاً
 لا حارس عليه . أكننا نرجي ان تأخذ عدونا رحمة بنا .
 ام كئنا نحسب ان سيقف امامنا ويحمينا بالورد والاس .
 انا اذن مجانين

قوم عباوا فيالقمهم واستحثوا ساجاتهم وجاءوا يظروننا
 قنابل ويصلوننا ناراً . طمعاً في ارض لا تربتها خصبة ولا
 ماؤها عذب . نهباً واغتصاباً . يطأون الحدود المعفرة ويمشون

على العظام النخرة . لم تسترجعهم آداب العصر العشرين
ولا نفذت الى قلوبهم صيحات الساخطين من ابناؤه
يستنيمون اذا عجزوا ويفتكون اذا قدروا . قد استحلوا بلاداً
غاروا عليها لان أهلها عرب ولان حكامها ترك . فكانوا
فيها اشد خشونة من اهل القرون البائدة

مضت خمسة شهور ونحن مع ايطاليا في حرب . قد
اعدت لنا الموت في الوانه المختلفة ونحن ماذا اعدنا لها .
سوى فئة قليلة تغذيها الفدافد ويسقيها الغيث . تسيل
نفوسها على زرق الاسنة دوننا ونحن كعجائز الولايم . نأكل
ونحلق . وفي ام عواصمنا اناس اعطوا الله موثيقهم لا يتركون
هذه الدولة وفيها من الحياة بقية . الامم المحبة لنا تنصح
واهل الرأي منا يرشدونهم . ولكنهم حزنوا حزناً . لا
يريدون ان يتحولوا عن وجهتهم

نحن مخلصون لهذه الدولة . كلا ثم كلا . يا بعد ما
بين الاخلاص وبين هذه القلوب . ان نحن الاقوام اذا
حفا الدهر لنا اياماً نخرنا بغير نثار وادعينا ما ليس من طباعنا

كم بذلنا في سبيل الدفاع عن طرابلس . لولا ما نذبت به
 اكف سراة مصر وسائر بنيتها من المال لجفت اكباد ابطالنا
 في حومات الوغي . قصور شاهقة اظلت شطي البسفور وذهب
 مذخور ونفائس مصونة في خزانات من الحديد . وعندنا
 اصحاب الدولة والعطوفة والسعادة والعزة والرفعة غصت بهم
 مجالس الشرف لم تسنح نفوسهم بنصف ما سنحت به
 انفس المصريين وكان قائلنا يقول قبل اضطرار الحرب: الا
 لا تجهان علينا ايطاليا . الا لترجعن الى صوابها . اما لنقومن
 اما لنفعلن . فلما جهلت ايطاليا ولم ترجع الى صوابها ملائنا
 الدنيا صياحاً واعولنا احوال الثاكلات . وذهب وعيدنا
 كنفثة مصدور في ريح عاصف

اي بني بلادي . لا اكذبكم . اذا كان اغش الناس
 لكم احبهم اليكم فهذا قلم لا يعلم تلك المسالك . اختلفنا
 وجوهاً واشكالاً ولكننا اتفقنا طباعاً وغرائز . ياويل
 المخلص العاقل بيننا . يرى ويفهم ويقول فلا يسمع انما يطربنا نعم
 المادحين . سواءً علينا صدق ام لم يصدق . انما نريد ان

ندح . ومن وقف بيننا موقف الناصح الامين تهاوت على
قفاه الاكف حتى تبقى على اديمه وسوماً وندوباً

ياويلنا . اذا برزنا الى ميادين الحفاظ وسلاحنا عبراتنا
فما نستبقى للعقائل التي في الخدور . هذه رقة لا الحضارة
مصدرها ولا الحكمة اصلها . غير ان العجز . ذاك المسكر
الذي امال الاروس على المناكب هو الذي يجمع تلك
العبرات . نيل بها اعقاب الجدود الموية . ولبئت حيلة
المحتال . كل قطرة من تلك الدروع تكون كلمة ذم تزداد
في صحائف تاريخنا

اذا جاء ميعاد الجدل في ميزانية الحربية والبحرية
وقف ناظراها يستنديان اكف الامة لزيادة الانفاق . والانفاق
لدينا عن سعة . فما لبيروت . الثغر الباسم في محيا الملك
العثماني تلم به دوارع الدولة المحاربة . فترمي به بصواعقها
وليس على بابها سوى دارعتين . ما ضمت اضلاعهما غير
الهواء . لئن كان ايجاد اسطول يذود عن بيضة هذا الملك
يحتاج الى زمان طويل افلا تستطيع الدولة ان ترفع على

شط بيروت حصنين صغيرين تجعل فيهما بعض المدافع
من معيار ١٣ عقدة فتضطر تلك الدوارع الى الوقوف
مكانها وتحمي المدينة واهلها شر البلاء

مدت الى دولتنا الاكف المصاحفة تخطب ودها وتعرض
عليها معونتها قبل الحرب وبعدها . ولكنها غلبت على امرها
في قبول الود . فوقفت موقف المرتاب . لا تدري ما تحب
اهذا مقام الشك افلم يبد لنا اليقين . ومتى تطمئن قلوبنا الى
اخلاص الناس لنا . ما اخال ان هذه القلوب تطمئن الى
شيء . ايام تمضي سراعاً وفرص متتالية . ولما نعزم ولما
نحزم . ما هذه السياسة

لم تتدبر امرنا بعدة من حزم ولا من قوة . قد تركنا
الامور تجري في فوضاها غير ان الموت يدنو منا دنواً .
قصارى هممنا ان ننشر طرفاً من اخبار وقائع جرت في
ميادين القتال . والعدو يسوق الجند بمد الجند . لا ادري
متى يتهباً لنا ان نغضب

أليس من فاضح الخزي ان يصبح كثير من الناس يترحمون
على ايام عبد الحميد . ولقد صدقوا وما يجري على زمان كبرائنا
يكاد يجري دموع عبد الحميد . ابو الظلم والاعتساف . اقام في
قصره محجوباً الا عن عيون تعود ان يغازلها . فكان لا يعتر به الحياء .
لكن رجالنا يظهرون كاقمار التم في آفاقها . فكان من الشرف ان
ينجلوا . اما ان يسان الملك على ما وجدوه . لانطمع في زيادة
ولكن النعمة العظمى ان لا ينقص فاذا اعجزهم هذا القدر من حسن
السياسة . فليدعوا تلك المقاعد . غيرهم اولى بها .



١٠

التكبر وحادثة النعمة

لا بد من التنقل الى الاجتماعيات . فقد تضجر
النفوس اساليب السياسة . ثم نحن الى الاجتماعيات اشد منا
حاجة الى السياسيات . طال عهدي بفصول كنت اريدها
فاجدها . ها انا اليوم تصبيني الذكرى وتجدد حنيني الصبوة
فارجع الى التجاريب . بعد ان طال بيننا التهاجر
اريد ان اصف التكبر وحادثة النعمة . وليس عندي
وصف يرضيني . لان الذين وصفوا التكبر وصفوه غاضبين .
وانا اريد ان اصفه هازئاً لا غاضباً . ويبقى لي شيء اتم
به الكلام في حادثة النعمة .
التكبر ينشأ في نفس المرء من اشياء كثيرة اشدّها

الحق . ثم الاعتزاز بالانتقال من الضعة الى الرفعة . ثم محاولة العزة عند الناس

المتكبر ينظر الى اعطافه و يأخذ في تغيير قعوده ونهوضه ومشيه ووقوفه حتى يستضحك الناظر . لان النفس اذا خلا منها موضع الفضل و باتت الشوائب معطلة من زينة الاخلاق استمكن التكبر و بدت غرائبه

عرفت رجلاً تكبر بعد عناية اصابته فرأيته في احد مجالسه وما زال ينحرف في قعوده و يتلوى في توجهه حتى انشق بنظلمونه و افتر عن بياض قميصه . فكان عابساً من فوق و باسماً من تحت . و كاد اهل المجلس ان يموتوا من شدة الضحك

و لقد رايت اناساً من ذوي الالقاب المستحدثة يتكبرون . فهالني الامر . فرحت اتخرى فيهم شيئاً من النبيل او الفضل اتخذه عذراً لهم . فاذا عقول بنحواتم رهبها . لم تمسها فائدة واذا السن يتساقط منها الحديث كجلمود صخر حطه السيل من عل . واذا وجوه صفر كل وجه منها كامسائية رمضان .

وإذا عيون ما اومض فيها بارق من الذكاء . فقلت في نفسي : ما اشد عبث الدهر . يرفع هؤلاء من مواضعهم ثم يجلسهم مجالس ما خلقوا لها ليفضحهم على رؤوس الاشهاد . ولو تركهم حيث ولدوا لكان اشد رحمة بهم .

ان لقب باشا في هذا البلد اشد اسكاراً للره من زجاجة الويسكي . يناله القروي الذي ربي بين الانعام . وسار يستحث المحراث وتقوم جنباه على مضاجع المشيم تحت سقف الاعشاش . ثم ينزل مصر او يطلع الثغر فيرفل في حلة تكاد تتحل عن اعطافه . يخال رائيه ان ثيابه تمشي وحدها . فيطفي ثم يطفي . وبأتي طغيانه على شكله المضحك وكلامه السمج . كالحضاب على راس الاصلع فهذا فضح نفسه ولا يشعر انه فضحها . لانه يرى ضحك الناس منه فيحسبه اعجاباً بفضله .

يا سيدي الباشا . لو تركت هذا الخان وتبوات عرش بلقيس تنقله الى ايوان كسرى . واتخذت من حمرة الشفق بردك ومن نجوم الافق ازراك . وثقلدت لامع البرق

حساماً وجعلت قوس قزح حمائله . ما زادك في عيني
اجلاً مثلاً مثل ادب اجنيه من فمك وخلق كريم اتبينه في
طبعك . واني ايزهدي في كثير من امثالك ما بيننا من
اختلاف الحال . انا اكتب وهم لا يفهمون . وانا اخلد وهم
يفنون . وانا قديم عهد بالنعمة وهم حديثو عهد بها . وانا
يكرر ذكري كل ناطق بالضاد وايس فيهم من جاوز ذكره
اخر الزقاق الذي يسكنه . اتحدث بنعمة الله . تأدية لشكره
فاين انت مني حتى نتناول علياً .

وزراء الغرب واغنياؤهم واعيانهم يتواضعون لمن يغشى
منازلهم . وهم لم يبلغوا ما بلغوا من الرفعة الا بالجد والكد
وسهر الليالي . وانت قبلت الاذيال ولا تزال نقبلها . فما
يرفعك فوق اهل الرفعة .

الا ترى ملوك الغرب كيف يتواضعون فيكم
الملك منهم الجندي ويضع يده على كتفه ويقول له بني
واخي . الا ترى سمو امير البلاد . ما حظي باثم يمينه احد

الا خرج ولسانه شاكر وقلبه منشرح . ولكني
 استغفر الله اليك . لقد قايستك مع غير نظير . ولا
 اطمع ان تسمو نفسك الى اكثر مما خلقت له . فكان
 حيث يسر لك ان تكون . مكانك من الطبع اولي
 لك

هذا حديث اتى عرضاً . وها انا منتقل الى غيره .
 شجو في الفؤاد . فاض ثم تدفق . فواحر قلباه . كم يعاني
 المتأمل حالات الناس من سوء اخلاقهم . التكبر وحادثة
 النعمة . بثس القائدان الى العماية .

السيدات يتجمن بالثياب وبالخلي . والرجال يتجمن
 بالاخلاق . وان اقتن السيدات انصرهن اخلاقاً واطيبن
 شمائل . تلك التي يتضاءل عند نور نفسها لمعان جواهرها
 فما ظنك بالرجال

رب كرسي يضطرب فوقه حديث النعمة وكأنه
 جالس على قرن الثور . لو اتخذ درجة لركوب الخيل لكان

ارفع قدراً • ورب متكاء يغوص فيه حديث النعمة لو تحول
 مربطاً لجواد لكان اشرف قدراً • حداثة النعمة فتنة من
 شر الفتن • ولكن الشرق مظلوم محاسنه اقل من مساوىء
 الغرب • وهو غير ان مخيال بها • يا مطلع الشمس وموطن
 المجد • متى يغنيك الله عن الغرائق ويبعث فيك مثل
 اولئك • انك لجدير بالرحمة



١١

بين ألوحشين الأب والزوج

المَّ بها في حسنها وشبابها
كوردة بستان جنتها انامله
فلما مشى من قلبه نحو قلبها
رسول الهوى خابت لديه وسائله
دعاها وستر التيه اسبل دونها
فما زال حتى رفع الستر سابله
ولو لم يحاول ذلك القلب باطشاً
لحال على رغم الخلافة حائله
غزاة وادٍ في جبال قانص
تبث لفرلان الصريم جباله

اقام الليالي وهي في قيد اسره
 يغازلها لكنها لا تغازله
 تظن ويسخو بالوداد وهكذا
 يقابل قلب نافر من يقابله
 قضاهاله الظلم الذي كان قاضياً
 وذلك عهد اظلم الناس عادله
 تقضى ربيع العمر في غير روضه
 ومات وما ناحت عليه بلابله
 فبا حسرتنا لتغصن يذبل وحده
 وتبقى عليه ناضرات غلائله
 تجاوز غايات الثلاثين جائز
 احبته لو انصفته عواذله
 مضى حكمه لا ارجع الله حكمه
 واخره مذمومة واوائله

رحمة الله عليك يا (البوز) بك . رجل جشته اعظم
 من الحمل المصري اربع مرات ذو لحية كأنها الاجمة

ووجه كانه ميدان القتال وشكل لا يشابه احد الاشكال الهندسية . لم يركب عربة الا كسرهما اما صاعداً او نازلاً اكثر علمه باللغة الجركسية ولا يعلم منها اكثر من اثني عشرة كلمة . عرفته بسيواس نفيت اليها قبله ونفي اليها بعدي . وكنت اكثر عباد الله تعجباً من نكبة (آبوز) لانه كان حما السلطان عبد الحميد . وجد الامير نور الدين افندي لاه . فلما علمت ان الحكومة جعلت راتبه مائة وخمسين جنياً في الشهر بطل تعجبي وتميت لكل احبتي مثل نفيه

اخذنا نتزاور وتحاب اهلانا . فبلغني ان له زوجتين هما آيتان في حسن الخلق والخلق ما رأتهما سيدة الا احلتهما مكان الاجلال فكان آبوز بك كالامكة تختفي وراءها هاتان الزهرتان . وانما نفي الى سيواس لخصام وقع بينه وبين بعض المقربين . وان منهم يومئذٍ لجمعوا لواجتمع على طود لأماله على قواعده

ان للتيجان بين روءوس الجبابرة واقدام الغواني ثقلات
تحدثها الصباية . وكم من حريص ملك في فروق يهبه جملة
لتغر ضاحك وما انبالت السرائر على دول الشرق الا وولت
عنها الجدود . وبذا تبتدء قصة المرحوم (آلبوز) .
نشأت له ثلاث بنات . كبراهن ذات جمال يستهوى قلوب
اهل الورع . فوصف جمالها لعبد الحميد وهي طنلة . فما
اوما اليها بطرف سبابته ايماءة واحدة الا وقد القي بها بين
يدي . ثم فاضت مواهبه على والديها فيضاً . فاعم على ابنيها
برتبة الميرالاي وادخل في حرس القصر السلطاني . غير
ان نفس (آلبوز) بك ترفعت عن الوثاية فبقي مكانه ولم
يترق في الرتب . وحيل بين الطفلة ووالديها . ما سألأ
زيارتها الا عطلا بالمواعيد الكاذبة . ومرت الاعياد وهما
يرجوان التلاقي بها فلم يقدر التلاقي واتت محنة النبي ولم
يزودوا بنظرة الى غصنهما الرطب في مغرسه الذي نقل
اليه . واذا هي يوماً قد وضعت الامير نورالدين . متقدم
الذكر في هذا المقال وعقد عقدها على سلطان العثمانيين

فصارت ثلاثة نساءه . اليوم اوفى عبد الحميد على باب السبعين
وهي لا تزال في اوائل العشرين .

سمعت ابن البوز بك ايام المحنة . فقلت هذا اول
طود ينال . خبرت عن حزن جرمة فقلت درة تدوب بغير
لهب . وكم تمنى ذاك القلبان لقاء . ساعة فطن بها الجبار .
اجث ذلك الغصن الاهيف من منبته . فلما بات في
قبضته حاول ان يبيله اليه فاستعصى . وما زال يجاذبه
السلطانين من ذهب وقوة حتى استماله بالقوة . وما هي
استمالة ولكنها اذلال . تبدى على مثل عرش بلقيس
مستقرة بقصر (يلديز) تضم بين ذراعيها فرعاً من شجرة
عثمان الباسقة . نعم الظل غير انه محرق . وحبذا الجاه
ولكن حماه موحش .

حدثني ابن البوز بك . قال : دخلت القصر فانتهاوا
بي الى ابن اخي الامير وهو في التامنة من عمره . فاجلسني
امامه في عربته وطاف بي الحديقة . وقال سأل مولاي

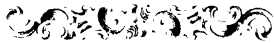
ان يجعلك لي ياوراً . وحين انس خلوة همس في اذني
 ان والدتي مشتاقة اليك . لم تنسك ابداً . وهي توصيك ان
 تحسن التعلم وان تكون نابغاً بين نظرائك . وكان ابن أبوز
 بك يحدثنى وعيناه مغرورقتان في الدموع . قلت : ذهبت
 وصاة اختك في الريح هل جاء المسكينة ان اخاها لا
 يحسن الهجاء .

تواقعت قنابل جيش الحرية على اسوار الملك المستبد
 وبينها انفس تدعو لراميتها بالتسديد . وابت بعد ذلك اكثر
 نساء الملك المخلوع ان يشاركنه في محنته وان يسكن
 معه في سجنه . فكانت بنت أبوز بك فبين خرجن
 من قصر الاتيني رغبة في الحرية . أُبين ان يتحرر
 العثمانيون والعثمانيات من اسر الظلم وان يبقين وحدهن
 اسيرات .

يا أسود سلانيك ومناستر . ان وراء السجون لمكربات
 كشفتن عنهن الكرب . ان رؤوساً عقدت عليها التيجان

تحنى لديكم اليوم اجلالاً .

سمح الزمان للوالدين بلقاء تمنياه طويلاً فلما شفيت
النفس من ألم الفراق رحل البوز بك الى الحجاز فمات في
طريقه . وطابت ارجاء الحرية للحمامة المروعة بين الوحشين .
الاب والزوج . فكم قبلة شوق من شفتي الام الواهة تستقر
على جبين ابنت الوفية . سلام على تلك الدار التي اجتمع
فيها الشمل . انها لقرارة الصفو والهناء .



۱۲

ما اكثر خطوبك يا فروق

نفدت دوعي والاسى لا ينفد
اليوم يُبكيني وبيكيني الغد
بالله يا وطني اما لك راحم
اكذلك نارك كل يوم توقد
وجدى عليك راست وحدي واجداً
من يعرفونك واجداً او موجد
ذهبت معاسنك التي انشدتها
فاذا صبت فاي حسن انشد
ان يظلموك فكم اصابك ظلمهم
ان كنت تجحده فما انا اجمد

او ينزلوا بك للخضيض خيانة
 فلعهدنا بك للكواكب تصعد
 لو كان في هذي المنازل مصلح
 ما ساد في هذي المنازل مفسد
 ان يجرقوها ظالمين فبعدها
 نار ستحرق في اضاها الاكبد
 أفروق ما لك في البرية منجد
 كلا ولا لي في البرية منجد
 فسئظلمين كما ظلت بعشر
 سادوا واكثرهم بارضك اعبد
 كم حريق وكم بلاء . امصباح فروق هذه . اكذا
 دابها الدهر . لا تخمد الا تضطرم . فنيث او كادت
 اليوم ينكرها عارفها . اكل هذا بيد القدر . اكذا قضي عليها
 يروع فيها النيام تحت ظلمات الليالي . ما آوت فئة الا
 تكشفت وئة . لقد نسيت الثغور الابتسامات . لقد جهلت
 القلوب الافراح . دجان من الدمع وتهتان يرتفع من نواحيه

صباح الولهين . الأمان الامان . ما بقيت ارواح ولا اجساد .

فروق . لو كان حظي منك مثل اساي عليك
 لادعيت اني اسعد الناس . ارى بك وجوهاً لا عهد لي
 بها . كنت افزع منها في دوله الظلم . ولما انشق صباح
 العدل ظننت ان سنبدل عنها بخير منها . فاذا هي ثابتة
 كمسامير النخس . لا تقتلعها من مكانها قوة

ما تشتعلين وحدك . كل الاقطار العثمانية في اشتعال
 نار الحرب ونار الثورة ونار الحريق . اغيضت البحار
 ام جفت الينابيع ام مزقت صحائف الغيث . ام يبس الكون
 كله

لبست عليك ثياب الحداد اربع مرات في اربعة اعوام
 هذه حياة الحداد . ام آلى بتوك لا يفرحون بعد الظلم
 ما اشد كلف الناس بالظلم . من اجل هذا كانوا يدعون
 لعبد الحميد بالعمر والتأييد . علا رؤوسهم فائقها . واوماً
 الى اكفهم فائقها . واشترى منهم وطنهم ثمن بنخس . ثم

جاد به على الخراب . ولكنه كره ان يجود به جملة واشفق
ان يجعله حصباً للنار

تنفست اطنه عن النار وبكت الدماء ثم كان سكوت
يتخلله زفير . فاصتبطاً الخطب الفريسة . فاذا دمشق ملتبهة
واذا حيفا ملتبهة هما تشبهتا بفروق ام هي تشبهت بهما
كلا . ان لفروق السبق . ان عهدا بالنار قديم . تجري النار
في اوصالها كما يجري السكر في مفاصل النشوان . هي الشواء
الذيذ تسمنها الغفلة وتأكلها الخيانة

لهفأ على هدية الفاتح . لهفأ على الغالية البيزنطية
حبية قسطنطين العظيم . سبية الفاتح العظيم . عروس خدر
المجد . غانية الشرق في الغرب . المتقلبة على ترائبها الخضر
حمام الموج . الضاحكة بثر الخليج في وجه الطبيعة . بنت
الربيع . ام الحصب . مناحة البلابل . لعبة النساء
الا ذمة وازعة . الا وجوه تستحي . اعند اجداث العظماء
اجداث الفاتح وسليم والصقولي والكوبريلي . اتلقاء مر اقد
الشهداء شهداء الحرية بمقربة من (الكاغدا . خانة)

لا حزن الا ان نتصدع القلوب كما تصدعت تلك
 • المباني ولا وجد الا ان تنضب شوئون العيون كما نضبت
 تلك المياه • تفني الالفاظ وتنغد المعاني ولا يوءدي الشكاية
 لسان ناظن ولا قلم كاتب • واحسرتاه على فروق
 ما لنا • ماذا نحاول عند هذا الملك المسكين • لقد
 مال حتى ضرب الارض بجرائه الا اشفي • الا احتضر •
 ايتها القلوب القاسية ايتها الايدي العابثة • اما شبت من
 القرايين • عني قليلا • فلقد تعف السباع اذا كثرت لديها
 الاشلاء

تعالوا ايها العثمانيون ندرك فروق • تعالوا نأس جراحها •
 عاصمة ملككم • عذراء دولتكم اخوانكم اخواتكم بالعرء
 موسدون • الا تعارون عليهم من الاعين الخائنة • اليس
 فيكم من ينهض ليستر جسد عاريا عاش مصونا • ادعوا
 العثمانيين الى نجدة فروق • هل من سامع • هل من

محبب

١٣

لعل النهضة الثانية اثبت من الاولى

كاننا كنا حالمين . اطبقت ظلم على ظلم حتى اتمس الناس بعضهم بالايدي . ثم لاحت اياضة فانطوت . ثم استمرت الظلمات اربعة اعوام كاملة . وها نحن اليوم نتبصر فزرى سنأ باديا فنهتدي به . اذا لم يكن برقه خلباً فانه كوكب الصبح . بعده نهار مشرق الطلعة صافي الديباجة . الاعم صباحا ايها الظلل البالي كنا في مثل هذا الاوان نسمع ما يقوله المعجبون بالاتحاديين . فنكاد نطاول الجبال غرورا . وكنا اذا ذكر الاتحاديون نظرب به كما يطرب بالصوت الحسن سامعه . فاذا دعا باسم الجمعية داع اصاغت له الارواح في الاجساد . وكم تخيلنا تلك الجمعية فواحد يصور منها مثالا كتمثال (فينوس)

كثبت هذه الرسالة على اثر سقوط الاتحاديين واستلام الوزارة
للمخاربة الكاملة زمام الحكم

واخر بقيم لها طوراً يسجد له كأنه طور سيناء . وظل كل قلم
كأنه « فرشة » روفائيل المصور الشهير . وظلت سلانك
ومناستير كأنهما لوحان من الواحه النابتة الخالدة .

وهبنا هذه الجمعية المودات وبدلنا ايام الحياة . فردت
المونزات وقبلت ايام الحياة . فباتت وهي امك الارواح من
بارئها . وكانت احب الى الناس من النعيم فصارت ابغض اليهم
من الشقاء . ولما سطت على المستبد سطوتها . ورحلت به
الى موضع امانها . زادت مكاناً وحباً . حتي قدسناها تقديساً
وكانت في غفلة من الامة تسرق . وتخزن الى ان نما ثراؤها
وملئت خزائنها . ثم اشتد ساعدها واستحل سطرها فلم توقع
به الا الامة . فاذا سيف من عدل الآله قد سل على زقاق
« شرف » حتى كاديحصد زرعه حصداً

انا لنعرف لابطال العثمانيين فضلهم . لقد ا. تعادوا
الديستور مرتين . اما المرة الارلى فأتى من لم يصنعوا شيئاً
وزاحوهم في الحكم واما المرة الثانية فنرجو ان لاتكون كذلك .
اليوم اهل فروق في، عيد جديد . هنيئاً لاهل فروق عيدهم .

وانها لحسنة وان صفيت وفاتنة وان رفلت في الاطار البالية
 اذا بدت على ترائبها قلائد الزينة بين الثياب . رأينا كواكب
 الافق في الليلة الصافية ان يغيرها ان مآلفها اليوم اجداث وان
 دورها اطلال . حسبها ان خلصها من ظلم الاتحاد بين فان
 دام لها هذا الهناء فذلك جد عاود الصعود وان ودعها بعد قليل
 وصل ساعة داوى هجر اعوام

الفرح بالنجح لا يدع مجالاً للشكامة بخيبة الاعداء ان
 العثمانيين اولو نجدة . رضيما ان نفوز ولا نبالي ان يرجع الاغيار
 باخفاق

الله الله . ما طيب شذا الحرية . وما ارق نساؤها . ضاقت بنا
 بلاد الله ونحن اليوم نمرح بين الحافقين جذلاً . دنواً دنواً ايها
 الآمال المولية انا لنحسبك بعد اليوم ثابتة غير مزعزعة . بضاعتنا
 ردت الينا . لانطلب من عدولنا ما بين جنبيه . ذلك عطاء من
 الله . ولا نحاول حسابا على ما مضى . انا في حاجة الى راحة
 يتلوها العمل

اهلا بوزراء الدولة وشيوخ تجار يربها . احق الموضوع بكم

هذه المقاعد . ملك مهزول . واهوال ناصبة . ومكايد مشبوتة .
 واعداء محتبئون لا ينهض بهذه الاعباء غيركم . فان جاوزتم بنا
 المللكات وانتهيتم الى الموضوع الذي تركنا فيه الالباء . فآمال اصابت
 وجدود ساعفت . وان حالت فتن الاعداء دون ماتريدون
 فشقاء لم نستحقه . ساقه قدر محتم وفناء موعود .

ان نقترح الان شيئاً . انتم اعلم بما ينبغي لانكم في الدار
 ونحن نازحون عنها . خلا شيئاً واحداً نطالبكم به ما تحركت في
 افواهنا السن ان تحموا شيئنا الوطن وان لا تجعلوا عصره السابع
 آخر عصوره . الاخلاص معان والصدق مرجو . فان
 قصرت سواعدم وصلناها بسواعدنا . امامكم السلطان
 وعلى اثاركم الامة . هكذا تنتظم مواكب المجد .

رحمة الله على حسن فهمي وصميم وزكي ثلاثة اغصان
 عات في ارض الوطن . في ربيع الحياة . هصرتها يد الموت
 بمنجل الجمعية . جمعهم التراب كما تجمع الحرية والمساواة والاخاء
 كلمة العدل . سلام على تلك الارواح الطاهرة . لعل النهضة الثانية
 اثبتت من الاولى .

١٤

كم تحت هذه السماء من أعين باكية

هل يعتل الدهر وهل يسمع
فما الذي يشكو له الموجع
تجربى صروف لا على نية

نخالها تبطيء اذ تسرع
وكلنا شاكٍ وباكٍ على
أشياء قد زالت فلا ترجع

كم تحت جون الليل من مهجة
تكاد لا تمسكها الاضلع

وصاحب النعمة لا بها
وحامل النعمة لا يرجع

رحمك يا خالق هذا الورى
 ارث لبلاه اذا بضرع
 صعب علينا بعض ما قد جرى
 أما اذا شئت فما نصنع

تحت مضارب الظلم . وفي استغراق سكونها .
 حركات تحجبها استار الغيوب . هي الاقدار . لا تغالب لانها
 خلقت غالبة . ولا نتقى لانها ترى ولا تُرى . والبرايا
 أغراض منصوبة تنزعها بالرمية بعد الرمية . فتصيب الاجساد
 وتنفذ منها الى الارواح . ولا يسمع لوقوعها الا مثل وقع
 القبله على جبهة الميت في نعشه

ما توشك البسمة ان تنطفي فوق ثغر الا وتجمده
 آثار البكاء . ان ينابيع الدموع لمعينة . وان منابت الحسرات
 لخصبة . وللامل الكاذب وميض في لياالي الخطوب . أشقى
 الناس من يعلق به بصره

بكيثا بيروت في جراحها الدامية واعولنا على التيتانك

في غرقاها . وها نحن اليوم نندب تكساس في اضاحيها .
يا دياجة الافق انطوي . ويا سحب الربيع موري . ويا مياه
الاقيانس غيضي . ويا صفحة الارض تمزقي . ويا ارواسيها
ميدي . حتى لا يبقى على هذه الكرة الهوجاء الا دخان الحسرات
منعقداً في جوها على ارواح المظلومين

سمعت يامة ترجع على فنن الدوح . فهاجني ترجيهما .
قلت يا يامة . دوحك مورق فينان . وماوك عذب رقرق .
وعشك تلاعبه انفاس الصبا وملعبك طيات النسائم وملك الله
في فضائه فما شباك فابكالك . ومن اني عليك هذا
الترجيع . بطاردك الصياد الخائن فتعجز عنه ولا تعلمين انه مدركك
يوماً . وتوعدك كواسر الهواء متحاومة عليك . وان في عشك
لفراخا زغب الجواصل . فهل اتاك ان للاقدار وثبات لا
مهرب عنها . تذكرت قول ابي فراس
ايضحك مأسور وتبكي طليقة

ويصبر محزون ويندب سال

لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة

ولكن دمعي في الحوادث غال

لقد تنقي الحرب بالسلام ولكن بم تنقي الاقدار
مكان الدمعة الحائرة على الحجر المسهد مكان اليتيم
الضائع على السبيل الموحشة . نتلاً ثم تختفي . ولو دامت
مكانها لكانت الشقوة اعظم

ايتها الام الناكاة اجملني جزءاً . وايتها الایم الواله
اقتصدي وجلاً . ويا ملك المهدي . ابك واستبك . صوتك
مرنان ودمعك لوء لوء رطب . دع الايام تنظم من ذلك
الوء لوء قلادة تلبسها الرحمة . هي اولى بهذا الخلي دون
كل الحسان

في ذمة الله ايتها الانفس المستفاضة والاشلاء الضائعة
بين السماوات والبحار . اذكرينا انا ذاكروك . وابكي علينا
انا باكون عليك . لم يبق بيننا وبينك رسائل سوى
العبرات .



١٥

ما يمنع القلوب ان تطير من الصدور

على ابواب الوطن . بين السماء المضطربة والارض
المضطربة . جمعان حالاهما مختلفتان . جمع سكن سكون الابد
اتخذ من حواشي الجبال مضاجع طاب عليها رقوده تنفحه
انفاس الشتاء وتنديه مدامع السحاب . كأن الشباب زاده
واليوم ينقصه البلى . وكأن الامل اسكت افواهه واليوم
تنطق الظلامه جراحاته . وجمع ركزت له راية . فهو مقيم
يحميها . لاث مكانه . لا يستقدم ولا يستأخر . كأن اقدامه
استأصلت في موقفه . موكل بمخارم جتالجه . يضرب عليها
بالاسداد . قضي عليه ان لا يسهر الا على ظاهرها وان لا
ينام الا في باطنها . وفي اعشاش القرى ومنازل المدن

إصوات تتجاوب بالعويل . وعلى السرر المتقابلة اجساد استخلصت
 من الموت او كادت . التفت حولها العواد . وبين هذه
 القيامة دولة كظل الجام على المائدة . لا يراه الا المثبت .
 تستجمع قواها لتصول صولة واحدة . اما الى حياة تستمر
 فيها المغالبة واما الى موت تستكن فيه الامال . هذا هو
 المشهد الذي نتعلى من مشاهدته دول اوروبا . بنات التمدن
 عرائس القرن العشرين

لوشاءت تلك الغاتات ان لا ترزع بهذا المشهد لفعلت .
 اشارة واحدة كانت تستوقف الحُصمين . غير انها آثرت
 الغرض على الانصاف . فباتت وعلى اعناقها من آثار تلك
 الدماء المراقبة قلائد ليست حلى ولا شكلاً . تلازمها على
 توالي الحقب . شاهدة بانامها عند احفادها

سليمة السبعة الاعصر محتضرة . انا نراها محتلجة على
 مرقدتها . لن يضير زوالها الا العثمانيين . هم وحدهم اولى
 الناس بالوجل وبالجزع . ان تستثم انفسها نقض بسنن
 للماضيات من الدول . غير ان ذلك الاسم الكبير . اسم

العثمانية . يبقى خالدًا . مشرقاً في أوله . مظلماً في آخره
 ويشهد الله والناس انه لم تمجحه اكف الاعداء بل اكف بنيه
 وانه لم يضيعه افراط الاعداء في هجومهم بل تفریط الابناء
 في حذرهم

تنادوا بالحرية فاتت واعطافها تقطر دماً . بئست الغاية .
 اغلوا لها المهور فاسترخصت الامال . لم يبق يومئذٍ في
 مكامن الفتنة جان الا ونبدى للاعين . لقد اصحبت دور
 الحكومة كخايا النحل من كثرة المترددين عليها . كل يحمل
 رأياً ويتبعي له ثمناً . حتى راحت ملايين الذهب في تلك
 الهوات . ولم تحصل الامة من ناهبها الا مواعيد ابعث شيء
 عنها هو الوفاء . وثقت بالدولة فوليتها المتغلبون . وثقت
 بالجيش فاستهواه المتغلبون . وثقت بنفسها فضررها المتغلبون .
 ثم وثقت بدول التمدين فاعرضت عنها بوجوهها النضرة .
 الا في ذمة الله تلك الثقة . تهدي الى الخلائق فيردونها .
 كأن الله تعالى لم يخلق لها صاحباً

اذا دعت الفائدة دول الغرب بذات في سبيلها كل

ود . ولو كانت ابصر بالفائدة من وجه حلال لا قبلت
 على هذه الدولة مطالبة بفض هذا الجمع الثائر . جمع الاتحاديين
 فانه لا شأن له اليوم . ما رجاله الا كغيرهم . تتخذهم الامة
 اوصياء على نفسها ولم تولم الوصاية دولة من الدول . فلو
 كانت هذه الدول اتحدت على مطالبة الحكومة العثمانية
 بذلك . لافادت العثمانيين ولا استفادت

أية امة تطيق هذا الذل . خمسة اعوام طوال . مضت
 وأعنته الامور بأيدي اناس لا ندري من اين طلوعوا . فيهم
 الجاني والمستبد والمتعصب والسارق والهمتهن . اوزاع واعناق
 لا تكون اسراباً ولا اقطاعاً . فكيف تكون بناة مملكة يراد
 ان يعاد بناؤها

تخاطفوا ما ادخره عبد الحميد وتناهبوا ما علق باركان
 الخزائن الفارغة . وانزلوا الويل على رءوس الامة حتى
 استغاثت بالاغيار . ووقعوا في الناصحين تقتيلاً وتعذيباً .
 وصالوا على اهل الرأي يخرجونهم من وظائفهم . ثم فرطوا
 سلك الممالك فتهاترت متتابعة . من طرابلس الغرب الى

البلقان . وجاءوا في اواخر ايام الدولة ليجرموها الموت في
دعة

اربعون مليوناً واكثر من الاربعين مليوناً . ذهباً عيناً . لو
اشترت الحكومة العثمانية بهذا المال حجارة ترصف بعضها فوق
بعض لحالت دون افعال المتغلبين في ارضها . اين ذهب هذا
المال . اين بات ذلك الجيش الذي قالوا انه في مقدمة جيوش
العالم

قد كان لانور بك ولاخوانه من الرأي ما يعلمهم فرق ما
بين الحرب في درنه والحرب في البلقان . هذا مقدار من المعرفة
لا يحتاج ان يكون صاحبه اركان حرب . فكيف خيل اليهم
ان مقتل ناظم باشا واسقاط ذلك الشيخ العظيم كامل
باشا يستدفعان غارات الاعداء . ليهني ، اولئك المتطفلين ان
الامة غافلة . وان غفلتها استصاحبها الى ان يتقلص هذا الظل
المتضائل ظل العثمانية . ولكن كيف السبيل يومئذ الى استرجاع
ما مضى . وما مضى لا يسترجع

استثنى انور بك ورفيقه علي علاتهم . ولكن ماذا صنع

الباقون . قضى منظم هذا الجيش اوقاته في بيته كما تقول
 جريدة الطان . وتقلد طلعت بك حسامه في اول الحرب وتوجه
 الى ادرنه . واليوم مات من القواد والجنود من مات وجرح من
 جرح واسر من اسر وبات في حصار ادرنه الوف من المدافعين
 وفيهم خلق كثير حتى من مكاتي الجرائد والقائد لم ينزل عن
 فراشه الوثير والناظر لم يبد للاعين الا محتماً بظهرانور وانصاره .
 هذا مبلغ شدة القوم في الذود عن دولتهم وهذا منتهى نجاتهم
 في معاندة درل العالم

ليس لدينا لسكان البلاد احصاء يوثق به . غير انهم كانوا
 يقولون ان عددهم ثلاثون مليوناً . وكننا نزيد ثمانية من عندنا
 فنقول ثمانية وثلاثون مليوناً . فكيف يبقى عدد الجنود المجندة
 من هذه الملايين غير متجاوز ثلاثين ومائة الف مقاتل ؟ !! ما
 ذاك الا ان العدة منعدمة . وان الامة افتقدت نشاطها الاول
 وغلب عليها اليأس وادر كها الوجوم . والا لعبت تلك الوديان
 بسيل من قناوجياد وتوجت ذرى الشم الصعاب بالمقاتلة من
 كل الاجناس

الطم حقي باشا في بعض هجماته اسماعيل كمال بك لطمته
 دوى صوت وقعها في آذان النواب . فصبرها اسماعيل كمال واسرها
 في نفسه . ولم ينهض في ذلك اليوم نائب يواخذ الضارب
 جهل الجميع ان حقي باشا لطم البانيا باسرها . اجل لقد احس
 بوقع تلك اليمين كل الباني ذي حياة . ولقد انتقم اسماعيل كمال
 غير ان انتقامه اصاب الدولة ولم يصب المعتدي . وبقي حقي يعشي
 معاهد لذاته في ييرا وغيرها . والدولة والامة تنضحان دماً
 وتفقدان المأ

نوت كراماً او نعيش كراماً . ما اجمل الكلام لو
 قاله غير قائله . وكم من كلام حق يراد به الباطل . ولا
 يحتاج الخادع لخدمة الامة العثمانية الى اكثر من هذا
 غير انا واحسرتاه نعيش اذلاء . ونوت غداً اذلاء . وتبقى
 تلك الاموال المحتلسة من خزائن الدولة ينفقها مختلسوها
 في سبيل لذاتهم . لايحيون الدولة الزائلة بقطرة من دمع . ما
 فات مات . وقد قال كثير عزة

فقلت لها يا عز كل مصيبة

اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

الآن لما كادت الحرب تطوي شرتها ويدعى الى
التقاضي قاتل الامة وناهبها . يأتي الجانون وايديهم تقطر
دماً واكياسهم تنفجر ذهباً . يستعيدون المخادعة . يستروا
تلك الاتام . ثم ينادون بيننا باسم الوطن الذي قتلوه . ونصدق
نمن ما يقولون . اننا اذن ابعد الناس عن الصواب . كلا
ان اسم الوطن ارفع من ان تناضغه تلك الافواه .
نخشى عليه . من حر تلك الانفاس التي تنفخ بسموم المطامع .
على الامة ان تنظر في امرها . لا بد لهذا العبء الثقيل ان
يوضع . في ساعة الموت نروع بهذه الوجوه . ما يمنع القلوب
ان تطير من الصدور ؟



١٦

عبد الحميد ميكياً بعد سقوطه

ان من عجائب الشرق ان يشكو ابنه الرجل حاضراً
وان يشناق اليه غائباً . ومن عجائبه ان يكون اكل امرئ
رأيان ليس له احدهما . ولكنه يحماهما استخداماً لهما . فكما
حل بين جماعة من اهل احد الرأيين كلهم به . والان
ارجع الى استيفاء شرح ما اردت .

رأيت اناساً يقولون رحمة الله على ايام عبد الحميد
كانت خيراً من هذه الايام وسقى الله عبد الحميد . كان
احسن من رجال اليوم حالاً واحكم تدبيراً واسلم نهجاً
يا عجباً لهذه الرؤوس . خلت من كل تأمل . وانما يرق لها في
العهد . الحميدي بارق المال والجاه والوسام فهاجها . والا ماذا

بيكيها من افتقاد عبد الحميد .

ألم يأتيها ان رجال اليوم اذا قصر و اعن الخروج بهذه
الدولة من ظلماتها فذلك لانهم ربوا في دولة عبد الحميد
ونشأوا في ظل سلطانه .

ألم يأتيها ان عبد الحميد لم يفسد الدولة وحدها بل
افسد الامة معاً ابى عليها مكارم الاخلاق كلها . ما انتفع
بكذب الاحض عليه . ما انتصر بخدعة الا ساق اليها .
اربع و ثلاثون سنة كل سنة منها كالعصر طويلاً . من ابن
النجسين الى ابن السنة الواحدة مستثمر بيد عبد الحميد . ناشئ
في دوحته .

اجل . ان الفساد سبق عبد الحميد الى الامة ولكنه تخاذل
عنها احياناً ولم ينتصر الا بعبد الحميد .

رأيت رجالاً كان الناس يطاردونهم في العهد الحميدي
فاذا هم اليوم موضع ارحمة الناس . لا أسميهم والناس يعرفون
من أريد . سلبتهم الدولة القابهم ورددتهم الى اصولهم ولكن
الامة لم تبرح حافظة لهم القابهم مؤثرة لهم على سواهم .

بن استعان عبد الحميد اذ بطش . وبين أستهدى الى مكان
 الارواح المظلومة اذ استنفرها . ألم يكن هو ، لاء المرحومون
 اليوم أعوان نقمته وأهل مشورته ألم يسلب الامة الكي يمنحهم .
 ألم يضعها لكي يرفعهم . ما أشد جهل الامة بما لها وبما عليها . ولو
 رثت لهؤلاء المطرودين نخوة منها ونجدة لكان ذلك منها تكريماً .
 ولكنها تنظر الى ما بقي بايديهم من الغنائم فتعظمهم لتشار كهم
 في بعضها . على انها خاطئة . لان الكاسيين في ظل عبد الحميد
 كسبوا ما كسبوا ببيع اغلى ما يملكه الانسان وهو الشرف . ومن
 يجعل الشرف فداً المال كيف يوجد بذلك المال لمن يملكه
 هذا خطأ غير انه خطأ لا يرجي اصلاحه . الناس مغرمون
 باولي الجاه . ومغرمون بمن كانوا اولي الجاه . اذا سائر رجل
 رجلاً من اوائك الواقعين التفت يمينه ويسرة ليرى كيف تجول
 الابصار فيه . ولقد يهزم نكبيه ويتأود في مشيته زهواً لانه يسائر
 من كان له لقب او قدر في دولة عبد الحميد . وبهذا القدر من
 الرأي ومن الحرية تريد الامة أن تنتفض في أغلال الاسر
 فتكسر حلقاتها .

• هيهات ثم هيهات • عرف اعوان عبد الحميد ذنوبهم وخافوا ان
 يُتنازلهم الامة خفافاً وان تعبت بهم اهوأناً • فوجدوا عند الامة خلاف
 ما خافوا • وهذا من اكبر دواعي الامان لمن اتوا بعد عبد الحميد وسلكوا
 طريقه • هم يقولون نرج اليوم ولن نخسر غداً • اذا اسقطنا الحكومة
 ثلقتنا الامة با كفها • وفيما ندخر من المال سبيل الى حياة طيبة وذاكر
 جميل • وان امة لا تعرف الجميل من القبيح لنعجز عن مقاضاة امثالنا •
 ايه يا اهل الشرق • ويابني العثمانية • يتعاقبكم المختكمون يجزون
 نواصيكم • ويسلون ارواحكم من اجسادكم • وانتم حامدون شاكرون
 كأن الله لم يخلق انساناً لغفران الاساءة ونسيان الجميل سواكم •
 اذا فذوقوا ولا تشكروا • ان اعداءكم اليوم من اولي الحكم اجبتكم
 غداً ولكي كنت اقنع منكم • ان يبقى في فكر بعضكم شيء
 من هذه الاسات تعاتبون عليها اخوان الغد عتاباً اذا مالوا باثامهم
 عن تلك المقاعد • ولكنكم لن تفعلوا • وارحمنا عليكم • لم اجد امة
 اولى منكم بالرحمة • احسن الله عزائكم في عبد الحميد واحسن الله
 عزائنا فيكم •

١٧

بين انقراض الوطن

ديار الحمى حيث القنا والصوارمُ
 تحييك من عيي الدموع السواجمُ
 لقد طرقتك الحادثات فجاءةً
 واهلك في أمنٍ وبأسك نائمُ
 فيمنالك والليلات فيك ولائمُ
 اذباك والأنهار فيك ماتمُ
 لك الله لا تنفك عنك نوائمُ
 ألم يبقَ في ذا الدوح الا الجمائمُ
 أدهرك ذا الوادي من الدم مترع
 اذا امسكت بالوبل عنه الغمامُ

.حللنا بشيءٍ وانتبهنا بضده
 وما يجتني من كاذب الحلم حلمٌ
 وكانت لجاجاتٍ فلما تسرت
 تزهدَّ مشتاقٌ وأقصر هائمٌ
 أقيم بناءً بالعرأ على شفا
 ولم تقو آساسٌ له ودعائمٌ
 فما ظن منه قائماً فهو مائلٌ
 ومن 'ظن' منهم بانياً فهو هادمٌ
 وهل ينفع الأطلال تجديد عهدها
 إذا درست آثارها والمعالم

لما الله قوماً حملوك مغارماً
 وراحوا وفي الاعناق منك مغانمٌ
 هم وعدوك، العدل كي يظلموا به
 أباً ظالماً لكن دهتك المظالمٌ

ولا خير في ملكٍ اذا جار شعبه
 ولا خير في ملكٍ اذا جار
 وكيف انقواء الخطب قد جل وقده
 اذا بردت تحت الصدور

واربعةٍ مرت ولم تحل لامرئٍ
 تهادت على الافطار وهي
 سعت بالنيوب العصل تنفث موتها
 ولا عجب بعض السنين
 تعوض ياساً من غدا وهو أمل
 وشام يقيناً من سرى وهو
 ولما اباحوا حرمة الرأي للهوى
 اهابت باطماع الغواة
 فهبت هبوب الريح من كل جانبٍ

• فما تستطيب الحكم فيه مشاركٌ
 ولا تستلذ الغنم فيه مقاسمٌ
 ويمسي لديها طائمٌ وهو خائفٌ
 ويضحى لديها أمرٌ وهو واجمٌ
 وليس بمجدٍ في الغواية ناصحٌ
 وليس بمجدٍ في الصباية لائمٌ
 وكيف يقر المجد في ظل دولةٍ
 وحامدها يحيى بها وهو ناقمٌ

تداعوا لنصر والرجا عنك ذاهب
 فهلا تداعوا والرجا لك قادم
 وبت وبت اللاحمون تعاضدوا
 فإمّا تراخى داهم شد داهمٌ
 فلم أرَ خطباً مثل خطبك ناهضاً
 يدافعهُ ملك كملك جاثمٌ

ولم ارَ مجداً مثل مجدك ناصعاً
 يظلمه حفظٌ كحفظك قائمٌ
 تطالعك الافدار وهي عوابسٌ
 ويا طالما حيتك وهي بواسمٌ
 وترثي ابلك المداين رحمة
 وقد حسدت فيك السرور العواصمُ

فيا من رأى تلك الفتوح التي خلت
 تجرع اسيً قد اعقبته الهزائمُ
 لاني كنت في شكران حالك جارماً
 فما انت في شكران ماضيك جارمٌ
 سنبكي لعهد عاره متجدد
 ونأسي بعهد مجده متقدمٌ
 وفي الدمع والتأسي تخفيف لوعة
 اذا اثقلتها الكاربات الكواظمُ

ومعتركِ للموتِ اِماماً سِماؤُهُ
 فنقَعُ واما ارضُهُ فجماجمُ
 تنازع فيه النصر خصمان اعزلُ
 يدافع عن ملكٍ وشاكٍ يهاجمُ
 تأخرت الاعلامُ عن مستقرها
 وفر محاميا وقر المخاصمُ
 تفرغت الاجام وهي شواهد
 ضراغما تسطو عليها الضراغمُ
 تجاوبها من حولها في زئيرها
 رعود لها في الخافقين زمازمُ
 مدافع منها قسطل متراكب
 بنادق منها عارض متراكمُ
 وصائب حتف مستهل فواقع
 وراجف روع مستطار خائمُ
 ووجه ردى في اوجه الكل ضاحك
 ووجه رجاء في اوجه البعض ساهمُ

كأن الوغى قد صار في انفس الورى
 هياماً فمن يُقتل يت وهو هائمٌ
 فمالهم غير الدماء مشارب
 وما لهم غير الرمام مطاعمٌ
 اذا آنسوا ضعفاً فكل محارب
 وان وجدوا بأساً فكل مسالمٌ
 وما خير سلم فوجه الشر عاصف
 وموج المنايا تحته متلاطمٌ
 تشير اكف بالسلام خديعة
 وتنزو باخرى للصدور الصوارمُ
 وكم كان في هذي النفوس منافس
 فلم يبق في هذي النفوس مساومٌ
 ولم تبق في الدنيا لنفس فضائل
 ولم تبق في الدنيا لطبع مكارمٌ

هوت (قرق كليسا) عنداول صدمة
 ولما يكن في قرق كليسا مصادم
 اناف عليها جففل متحامل
 وظال عليها مآزق متلاحم
 نقاعس «عبدالله» فيها عن العدى
 ولم يلق «عبدالله» جيشاً يقاوم
 وقد كان فيها سلة من ضراغم
 فبادت ووات للنجاة النعائم
 بدت تستغيث الهاربين من الردى
 زيانب في اترابها وفواطم
 سوافر في ذاك الدجاقد تبدلت
 ترائب منها روعة ومعاصم
 فليس لهم عن مورد العار دافع
 وليس لها من مصدر البأس عاصم
 اما كان في القوم المولين راحم
 فقد قيل في القوم المغيرين راحم

ادرنة لا يبرح دعامك قائماً
 فان دعام الحرب تحنك قائم
 عرمت عرام الدهر جاشت صروفه
 وهل يسئذل الدهر والدهر عارم
 الا ان هذا موسم المجد عائداً
 ولا غرول للمجد الاثيل مواسم
 يظل بنوك الباسلون بعزهم
 وآناف اعداهم لديك رواغم
 تبوات بين الموت والهون موضعاً
 اقرك فيه خطبك المتفام
 فان تشته موتاً يرق لك كاسه
 وان تسامي هوناً فمثلك ماسم
 اذا نحن اعظمنا بلاءك روعة
 فذاك بلاء اعظمته العظام
 فان تسلمي تنسى رزية هالك
 وان تهلكي لا يهنا العيش سالم

شطلجة لاتنك عنها خضارم
 كذلك لاتنك عنك خضارم
 فياعجباً للويل منه مشاكل
 وياعجباً للويل منه ملائم

بلادي مالي لأرى غير واطيء
 ثراك الما يبق في الناس لاثم
 تواتك تيجان فشادت لك العلى
 فلما استتمت هدمتها العائم
 لان كان في الاسلاف بينك غالب
 فما كان في الاسلاف بينك حازم
 لقد بان عنك الرأي مذ بان كامل
 وقد مات فيك البأس مذ مات ناظم
 طغى الشر في بعض النفس ولم يزل
 يرب الى ان اعلن الشركاتم

الا جمع الغاؤون فيك جماهم
 فبهيات تجدي بعد هذا الشكائمُ
 تولوا سراعاً حين صلت بوائر
 وعادوا سراعاً حين صلت دراهمُ
 فجأؤوا بسوسون الانام مياسة
 (سدى لم تسسها قبل ذاك البهائمُ)
 فكم عالم صاحوا به انت جاهل
 وكم جاهل قالوا له انت عالم
 اقاموا وما فيهم عن الزور تأب
 وظلوا وما فيهم على الختل نادمُ
 عزيز علينا ان ذا الملك زائل
 وان الذي قد اذهب الملك دائمُ

صما كل شعب فاسترد حقوقه
 فياليت يصحو شعبك المتناومُ

هو الشعب افنى دهره وهو خادم
وايس له فيمن تولاه خادم
يقلب من عهد العهد على الاذى
اذا زال عنه غاشم جد غاشم

اعادينا حكمتكمو السيف بيننا
فجار وحكم السيف كالسيف صارم
فلا تطمعوا ان ترضمونا بهذه
فايس لحر في البريه هاضم



✽ الى حضرات القراء ✽

انتهت تجاريب ويرى القراء من مطالعتها انها كتبت
 في اوقات مختلفة على حسب تقلبات الاحوال السياسية فابدى
 الكاتب رأيه في تلك الحوادث وقد علمت من سعادته انه كان يود
 مواصلة الكتابة وتدوين كل ما عن له غير انه رأى ان اكثر تجاربه
 مؤلم كما جاء في المقدمة فاكتفى بهذا القدر ولسان حاله ينشد قول المتنبي
 ليت الحوادث باعثنى الذى اخذت

منى بجملي الذي اعطت وتجرى بي

وقد عرف قراء مؤلفات ولي الدين بك يكن السابقة
 كالمعلوم والمجهول والصحائف السود وهذا الكتاب المؤلف سياسياً
 واجتماعياً وسيصدر قريباً كتاب عفو الخاطر فيعرفونه ادبياً اذ
 قد خلى الكتاب المذكور من كل شيء سوى الادبيات من شعر
 ونثر وأني ابشر حضرتهم ان سعادته ساع في جمع ديوانه ونشر
 سائر اثاره فيعرفونه اذ ذلك شاعراً كبيراً كما عرفوه كاتباً
 قديراً

فؤاد غنيم

